



[www.rewity.com](http://www.rewity.com)

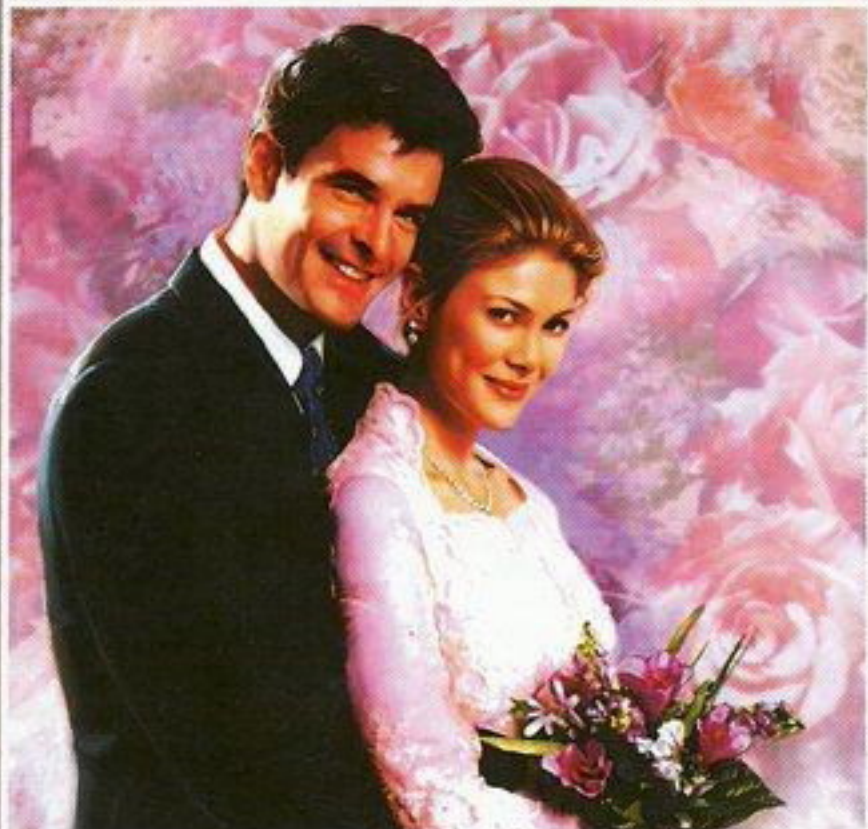
روایات احلام



*mormoria5555*

لو كنت حلما!

أبما دارسي



[www.rewity.com](http://www.rewity.com)

لو كنت حلماً!

*mormoria5555*

هل من الممكن أن يقع مليونير في غرام طاهية؟  
كان انطونيو كينغ خطراً مزدوجاً على أنا أوتيل... فمنذ اللقاء  
الأول سلبت عيناه منها القلب الذي ظننته قد تحجّر...  
لكن أنطونيو كان واثقاً تماماً أن أمله سيخيب إذا عملت لديه  
أنا، لأن المزج بين اللهو والعمل لن يسبّب سوى المشاكل..  
وكان حدسه صائباً في هذا، فموافقته على عمل أنا لديه جرّاه  
إلى حلٍ متهورٍ.. الزواج!..

[www.rewity.com](http://www.rewity.com)

كانت أيما دارسي ممثلة قبل أن تصبح زوجة وأماً . ولاحقاً أخذت تهتم بالرسم الزيتي ، ولكنها اعترفت بأنها لم تفلح فيه . . . بعد ذلك جربت الهندسة المعمارية فوضعت تصميماً لمنزلها الواقع في «نيوساوث ويلز» . ومؤخراً أصبحت كاتبة روايات رومانسية ، وبحسب ما اعترفت : «أن كتابة الروايات العاطفية من أصعب الأعمال وأشدّها بعثاً للتحدي» .

يوم الوظيفة!

نهضت أنا أونيل من سريرها في نزل الشبان وجمعت حوائجها ثم أسرعت إلى الحمام . عليها أن تبدأ نهارها بنشاط وحيوية ، استعداداً لمقابلة العمل التي تنتظرها . من المؤكد أن هناك أعمالاً أخرى يمكنها الحصول عليها ، ولكن الطهي في مركب مترف يقوم برحلات يومية إلى الشعاب الصخرية الشاهقة في البحر ، وظيفة مرغوب فيها .

أملت أن يكون رب عملها قد تأثر بخبرتها السابقة اللامعة بحيث لم يدقق في التفاصيل . ولا يعني هذا أنها كذبت . كل ما قالته هو أنها كانت مساعدة طاه وليس مجرد عاملة في المطبخ .

وما تحتاجه الآن هو فرصة لتثبت لهم جدارتها . فقد كان لديها موهبة خاصة في إقناع الآخرين بقدرتها على القيام بأي شيء . وهذا لا يتطلب منها سوى بعض الطاقة والحيوية والثقة بالنفس ، فضلاً عن الابتسامه الدائمة والشخصية القوية .

أثناء رحلتها الاستكشافية في استراليا ، التي امتدت سنتين ، كانت هذه المزايا تكسبها عملاً كلما احتاجت إلى المال . ولم يبق عليها الآن سوى أن تستكشف الساحل الشرقي . والمحطة الأخيرة هي بورت دوغلاس حيث كانت ترجو أن تمكث حتى موسم السياحة الذي يمتد من أيار إلى تشرين الثاني شرط أن تحصل على وظيفة جيدة .

هذا إذا ساعدها الحظ!

بعد أن اغتسلت، أخذت تتذكر الأيام الرائعة التي أمضتها هنا في كاب تريبيولايشن وهي تجول في الغابات البدائية وعلى أجمل شواطئ العالم.

كان رحيلها مخاطرة، لكنه ضروري، كما أخذت تحدث نفسها. فما لديها من مال ينفد بسرعة، كما أن بورت دوغلاس والشعاب الصخرية في غريت بارير تشكل بالنسبة إليها مغامرة لا شك فيها. فكرت أن الوقت حان لتتصل بأهلها لتعلمهم بأخبارها من جهة، ولتعلم من جهة أخرى إذا كان فلين حبيبها الخائن سعيداً بزواجه من أعز صديقاتها بعد أن هجرها، هي قبل الزواج بأسبوع. وبمرور سنتين، لا بد أن شهر العسل قد انتهى الآن. وتملكها شعور حاقد. من السهل التحدث عن النسيان والصفح. لقد أخذت في التنقل منذ ذلك الحين، أما النسيان والصفح، فلم يكونا سهلين على الإطلاق!

ومع ذلك، كان هذا اليوم يوم التطلع إلى الأمام، وهذا ما استفعله. الماضي ولى، ولن تدع ذكرى فلين وجودي تعكر صفو حياتها فقد أصبحت تلك الذكرى بعيدة الآن وقد استمتعت بالكثير من الأيام المشرقة المتألقة منذ ذلك الحين. وإذا حصلت على عمل في مركب الدوقة فستكون بمنزلة الدوقة نفسها.

وضعت أحمر شفاه وردي وارتدت بنظلون جينز وقميصاً يبرز لون عينها الأخضر والسمرة الرائعة التي اكتسبتها.

لطالما كان شعرها الطويل الأشقر الأجمد يستغرق وقتاً لكي يجف، لكن الرحلة البرية إلى بورت دوغلاس طويلة وستحظى بالوقت الكافي لكي تسرحه على شكل ضفيرة أنيقة قبل المقابلة عند الثالثة من عصر هذا اليوم. وإذا أرادت تريد أن تبدو طاهية محترقة، فلا يمكنها أن تتركه

متطيراً حول وجهها بهذا الشكل.

بعد أن وضعت كل أمتعتها في حقيبتها، توجهت إلى مقهى لتشتري فطوراً، راجية أن تجد من يقصد وجهتها، فيقلها معه. ووجودها في منطقة تعجّ بالسباح أمر جيد حقاً، إذ أنّ الناس عادة، كرماء، ويقدمون يد العون. عكسَ التفاؤل ابتسامة سعيدة على وجه أنا. سيكون هذا النهار عظيماً. وهي محظوظة لأنها رأت الإعلان عن تلك الوظيفة في جريدة كيرنس منذ أسبوعين. وإذا بقي الحظ حليفها فستكون هذه الليلة الطاهية الجديدة في المركب الرئيسي لخطوط رحلات كينغ تريبر.

\* \* \*

- المكالمات لك. إنه انطونيو.

أعلنت روزيتا ذلك وهي تحمل الهاتف إلى حيث كانت ايزابيلا فاليري كينغ تستمتع بشاي الصباح في الفناء.

احتفلت ايزابيلا أمس بعيد ميلادها الثمانين لكنها لم تكن تشعر أنها بلغت هذه السن. كان شعرها أبيض، ووجهها مجعداً، لكنها لا تزال تتمتع بصحة جيدة. أما عيناها السوداوان فما كانتا تدعان شيئاً يفوتهما. وكانت روزيتا، التي تخدمها منذ عشرين عاماً قد ألحّت عليها بأن ترتاح هذا النهار، لكن فكر ايزابيلا لا يرتاح أبداً.

كان انطونيو، حفيدها الثاني البالغ من العمر الثانية والثلاثين، دائم الترحال غير مقيّد بمكان وهذا ما لم يكن يعجب ايزابيلا. عليها أن تفعل شيئاً في هذا الشأن، وبسرعة. فكلما كبر الإنسان كلما أصبح الوقت عدوه.

- شكراً يا روزيتا.

وابتسمت وهي ترفع السماعة إلى أذنها: «ما المشكلة انطونيو؟»  
فالانصال أثناء النهار ينذر دوماً بمشكلة.

- أنا بحاجة إلى عونك يا جدي.

- طبعاً.

- أنا في كاب تريبولايشن، وعليّ أن أتوجّه إلى المزرعة في انشفيل لتسوية بعض الأمور. المشكلة هي أن عليّ أن أجري اليوم ثلاث مقابلات مع أشخاص تقدموا لشغل وظيفة الطاهي على مركب الدوقة... وعليّ الفور، تحرك اهتمام ايزابيلا: «وتريدني أن أفعل هذا لأجملك وأختار الأفضل؟».

فتنهذ بارتياح: «هل يمكنك هذا؟ سأطلب توجيههم من المكتب إلى القصر».

- هذا سيملاً فراغي خلال النهار.

- هذا عظيم، جميعهن شابات...

أعجبت ايزابيلا بالفكرة فقد تناسبه إحداهن فيتزوجها. إن أنطونيو بحاجة إلى امرأة تحب أن تكون على متن مركب.

- بناءً على طلباتهن التي سأرسلها إليك، لديهن سنوات خبرة في أعمال الطهي. ما أحجته بالضبط هو طاهية ماهرة في تحضير السمك، لذا احرصي على التحقق من هذا الأمر، يا جدي. اختبرين.

ابتسمت لثقتي. ولماذا لا يثق برأيها فقد بقيت سنوات تشرف على الطهي في القصر ولم تواجه يوماً أي مشكلة؟ كانت ايزابيلا تصر دوماً على الأفضل، وتعرف كيف تصل إليه.

- دع الأمر لي، يا أنطونيو. إذهب وسوّي مشاكلك الإدارية ولا تحملهما.

- شكراً يا جدي. سأعاود الاتصال بك عصر هذا اليوم.

\* \* \*

قالت موظفة الاستقبال: «أنا أونيل؟ من حسن الحظ أنك أتيت باكراً. السيد كينغ مشغول لسوء الحظ، لذا سأرسلك إلى القصر حيث

ستقابلين السيدة كينغ».

فقالت أنا باسم: «عظيم. ولكن أرشدني من فضلك...».

فقالت الموظفة بدهشة: «ألا تعرفين قصر كينغ؟».

وهل يُفترض بها أن تعلم: «لم أصل إلى بورت دوغلاس إلا منذ ساعتين، وما زلت لا أعرف الطرقات. المكان هنا رائع...».

وهزت كتفيها معتذرة.

- آه، حسناً، إمضي في شارع وارف هذا، ثم اصعدي إلى التل فترين القصر أمامك.

كان قصرًا حقيقياً! ولم تستطع أنا أن تصدق عينيها وهي تصل إلى القصر بعد ذلك بربع ساعة. حتى أن له برجاً مغطى بالفسيفساء! إنه حتماً من القرون الوسطى! كما أن الأعمدة التي تحيط بشرفة القصر الأمامية تبدو آثاراً رومانية. كان مكاناً مذهلاً يطل على البحر في شمال كوينزلاند.

أي نوع من الناس يعيش هنا؟ لا يمكن أن يُصان هذا القصر بغير ثراء بالغ. أخذت تفكر في ذلك وهي تنظر إلى الحدائق الاستوائية الرائعة. لا بد أن هناك تاريخاً هاماً وراء كل ذلك. ربما قد تعرف شيئاً عنه من السيدة كينغ، فالناس يحبون الحديث عن أنفسهم، وكلما قلّ الحديث عنها هي كلما كان ذلك أفضل.

أدهشها أن ترى امرأة مسنة في الفناء وقد بدا عليها الاسترخاء التام. كانت تجلس قرب نافورة مزخرفة، وأمامها ملفات وصينية تعلوها مرطبات وإبريق عصير فاكهة وطبق كعك محلى وثلاث كؤوس. وعندما اقتربت أنا، لاحظت أن المرأة تأملتها بنظرات متفحصة، كما لاحظت جوّ السيطرة الذي يحيط بها، والثوب الحريري الأسود الثمين الذي ترتديه.

توقعت أنا أن تقابل امرأة أكثر شباباً، لكنها أدركت فجأة أن هذه هي السيدة كينغ.

وعلى الرغم من تقدّمها في السن، كانت السيدة كينغ لا تزال في كامل قواها الفكرية. حتى أن أنا شعرت بنظرات تلك السيدة تتفحصها من خصلات شعرها المتموجة إلى نظافة أظافر قدميها البارزة من الصندل الذي تنتعله.

وفجأة تملّكها خجل بالغ من خصرها العاري وتمنت لو لبست تنورة بدلاً من بنطلون الجينز هذا. ولكن إن أحنّت رأسها وتأملته فستكشف توتر أعصابها، لذا رفعت رأسها وسارت منتصبة الجسم معتدلة الكتفين، وقد ارتسمت على شفيتها ابتسامة مشرقة.

سألته المرأة بشيء من التأمل: «أنا أونيل؟».

فأجابت أنا بشيء من المودة الإيرلندية: «هذه أنا».

فأومأت المرأة بشبه ابتسامة: «أنا ايزابيلا فاليري كينغ».

وكان اسماً ضخماً يعكس تاريخاً قد يعود إلى سلالة ملكية عريقة. وإذا كانت تجهل حقيقة هذه الأسرة، احتفظت بابتسامتها وأجابت بحرارة: «تشرفت يا سيدة كينغ».

فقالَت المرأة بإيماءة ملكية أخرى: «تفضلي بالجلوس، يا آنسة أونيل. واسكبي لنفسك ما تشائين من هذه المرطبات».

ارتاحت أنا لوجود المائدة بينهما. لم تكن في العادة، نخجل من كشف جسدها، لكنها لم تعتد مقابلة امرأة تنضح بالارستقراطية مثل هذه السيدة.

سكبت لنفسها كأساً من عصير الفاكهة وحرصت على ألا تمزق قطرة منه على المائدة، وألاً نخجل من إظهار هذا الصندل الخفيف الذي تنتعله. على كل حال، ألم يكن أعضاء مجلس الشيوخ في روما القديمة يلبسون الصنادل الجلدية الخفيفة في قصورهم؟

وجاء أول مدح لها: «لائحة الأمكنة التي عملت بها ساحرة، يا

آنسة أونيل. هل كنت تسافرين وحدك في استراليا؟».

- حسناً، لم أكن وحدي دوماً. فقد اتخذت أصدقاء هنا وهناك،

وكنت أسافر معهم أحياناً. الصحبة أثناء الأسفار الطويلة أمر حسن.

- وأكثر أماناً لشابة عزباء، كما أنتصوّر. أم لعلك على علاقة بأحد؟

فقالَت أنا بابتسامة عريضة: «لا. ما زلت أبحث عن الرجل

المناسب».

- بقصد الزواج؟

فأجابت بسرعة، مدركة أن هذه المرأة لا يمكن أن تتقبّل فكرة

المساكنة بين رجل وامرأة من دون زواج:

- أظن أنّ هذا هو الغرض من البحث عن الرجل المناسب يا سيدة

كينغ. ولكن، لسوء الحظ، العثور عليه ليس سهلاً هذه الأيام.

قالَت هذا شاعرة بأن عليها إيجاد تفسير لفشلها في العثور عليه،

وتابعت تقول: «ليس من المفترض أن يكون مناسباً لي وحسب، بل أن

أكون أنا أيضاً مناسبة له... وبعد ذلك على التوقيت أن يكون

مناسباً...».

وتنهدت بأسى: «وها أنذا الآن، في السادسة والعشرين ولم يحدث

معي شيء بعد».

أومأت المرأة متعاطفة: «هذا صحيح. هذا الأمر لا يجده الشخص

عند الطلب. إنه عبارة عن ظروف متلائمة يجمعها الحظ السعيد».

شعرت أنا بالانتصار لتجاوزها هذه العقبة، بينما كانت ايزابيلا

تسألها: «هل لديك مانع في أن تحدّثيني عن أسرتك، يا آنسة أونيل؟

فهمت أن أصلك إيرلندي؟».

ضحكت أنا. فالروح المرحة تغطي كثيراً من النقص، وأجابت: «أنا

ايرلندية من ناحية أمي ومن ناحية أبي أيضاً. وأنا الوسطى بين تسعة

أولاد، وكلنا محبوبون».

- تسعة؟ هذه أسرة كبيرة جداً هذه الأيام؟

- أعلم هذا. البعض استنكر ذلك، قائلاً إن هذا يشبه مزرعة لتربية الأرناب. لكنني لم أشعر قط بأنني أرنب بل على العكس، فوجود أسرة كبيرة مستعدة لمساندتي في الحياة يمنحني شعوراً رائعاً.

- ألم تشتاقي إليهم أثناء رحلاتك الطويلة هذه؟

- لقد تربينا على الشعور بالاستقلال، كما بإمكاننا الاتصال بأي منهم متى شئت. وقد رأيت مقهى مع انترنيت هنا في بورت دوغلاس.

أومات السيدة المعجوز وقد بدا عليها الرضى لهذه الصورة التي قدمتها أنا عن خلفيتها العائلية. وسألتها: «هل تريدن أسرة كبيرة حين تتزوجين؟»

أترى هذا سؤال هام؟ وشعرت أنا بأنه كذلك: «أربعة أولاد على الأقل. هذا إذا تمكنت من اقناع زوجي، وإذا تزوجت قبل أن يفوت الأوان».

فقلت السيدة وكأنها تحسب في ذهنها كم طفلاً يمكن لأنا أن تنجب: «ستة وعشرون عاماً... ربما عليك أن تمكثي في مكان واحد مدة طويلة، يا آنسة أونيل. كم من الوقت ستبقين في بورت دوغلاس؟»

- طالما تدوم الوظيفة، يا سيدة كينغ.

بدا على ملامح السيدة استحسان حار، ما زاد أنا ثقة بنفسها.

- لاحظت أنك عملت خلال الفصل السياحي الأخير في (منتجع جنة كينغ) في كمبرلي.

جنته كينغ... قصر كينغ... آه، أترى هذا فرع آخر للأسرة نفسها؟

وتابعت ايزابيلا فاليري كينغ: «ما رأيك فيها؟».

فأجابت أنا بحماسة حقيقية: «كان المنتجع خلابةً وكذلك العمل مع رئيس الطهاة هناك، روبرتو. أقسم بأن ما من أحد يطهو السمك مثل روبرتو. إنه رائع تماماً».

- وهل تعلمت أن تطهيه مثله؟

- يا سيدة كينغ، أعطني سمكاً طازجاً، فأطهو لك وجبة لن تنسيها.

- ربما. سأذكرك بوعدك هذا، يا آنسة أونيل. يكفي الحديث عن الطهي، ومن الأفضل العودة إلى موضوع الأسرة.

فقلت وعيناها تتألقان اهتماماً: «هل هناك علاقة بين أسرة كينغ هنا، وأسرة كينغ في كمبرلي؟».

- إننا أقارب. شقيق زوجي الأكبر، إدوارد، أنشأ فرعاً للأسرة في (جنته كينغ).

تذكرت ذلك البيت الريفي الرائع في مزرعة المواشي الكبرى، القائم كالنتاج على قمة تل يطل على النهر. وسألتها: «هل بنى زوجك هذا القصر؟».

- لا، بل أبي. في الماضي كان اسمه (فيللا فاليري). وبعد وفاة زوجي، استلم ابني مزارع الشاي، فأخذ السكان المحليون يسمون الفيللا (قصر كينغ) وهكذا التصق هذا الاسم به.

- مزارع الشاي؟

- كانت كلها، حينذاك، قصب سكر.

وأشارت بيدها ملوحة نحو المشهد: «أنظري عبر الخليج الصغير».

كانت حقول قصب السكر تمتد من البحر حتى الجبال.

- اعتادت أُمي مشاهدة إحراق القصب من البرج هنا. لكنهم الآن لا

يجرقون الحقول، فالقصب يحصد أخضر بآلات خاصة. حفيدي،  
اليساندرو، هو المكلف بهذا العمل، وأخوه أنطونيو يدير مزارع الشاي.  
- الشاي؟

وتذكرت أنا أنها رأت مزرعة شاي في كان تريبيولايشن.  
فأومات إيزابيلا: «رغم أن انطونيو أكثر اهتماماً بشركته السياحية.  
ومركبه الجديد (الدوقة) مصدر فخره وامتعه».

إذن، إذا حصلت على الوظيفة فسيكون أنطونيو رئيسها. أنطونيو،  
اليساندرو... إنهما يمثلان نفوذاً إيطالياً قوياً للغاية هنا.

عادت إيزابيلا إلى التدقيق في الملف: «تقول أوراق الطلب إنك  
عملت مرة في مركب في فريمانتل غرب استراليا».

فأومات أنا: «كنت أزود مركب سانت كرويز بالأطعمة».  
- إذن فقد اعتدت العمل في مطبخ السفينة.

- آه، نعم، تماماً.

- وأنت لا تصابين بدوار البحر؟

- لم يحدث ذلك لي قط.

كان هذا صحيحاً، لكنها لم تختبر نفسها كثيراً من هذه الناحية. من  
الأفضل أن تشتري بعض حبوب دوار البحر، فتصبح آمنة.

قالت السيدة كينغ: «ماتيو يمّون مركب الدوقة بالفاكهة الأجنبية  
وسيكون عليك أن تتعلمي أنواعها. ماتيو هو أصغر أحفادي وهو يدير  
مزارع الفاكهة الاستوائية».

راحت أنا تتساءل إن كان هؤلاء الشبان الثلاثة متزوجين: «هل  
لديك أبناء أحفاد، يا سيدة كينغ».

ابتسمت وقد بدا السرور في عينيها السوداوين: «لدي صبي صغير،  
ماركو. إنه ابن اليساندرو وجينا، وهي حامل الآن».

فقلت أنا من كل قلبها: «تهاني».

- شكراً، لسوء الحظ، لم يجد حفيدي الآخرا بعد...  
والتوت شفتاها: «الآنسة المناسبة».

فقلت أنا متعاطفة: «هذا ليس سهلاً».

بدت نظرة رضى في عيني السيدة كينغ: «الحب نعمة».  
أثار قولها هذا فضول أنا مرة أخرى.

وقبل أن تتمكن من سؤالها عما تعني بذلك، إذا بهدير طوافة يتناهى  
إلى مسامعها.

ازدادت السيدة كينغ رضى وهي تقول: «هذا انطونيو. قال إنه  
سيلتحق بنا إذا استطاع».

خفق قلب أنا: «آه...».

كانت منسجمة مع السيدة كينغ ولا شك أن صداقتهما الحديثة  
كانت ستساعدنا في الحصول على الوظيفة. أما الآن، فعليها أن تواجه  
الرئيس وتكسبه إلى صفها، هو أيضاً.

خطر مزدوج.

لقد كسبت جدته إلى صفها، وفي هذا بعض التعزية. ولكن، الكلمة  
الأخيرة هي من دون شك للرئيس.

أنطونيو...

غير متزوج...

هل هذا يعني أنه صعب الإرضاء؟ أم أنه مشغول جداً بمزارعه  
ومراكبه لكي يهتم بأي امرأة؟ يبدو أنه يخلق عالياً بطائره. وتمنت أنا  
بحرارة أن يبقى رأس انطونيو كينغ في سحاب أعمال مزرعة الشاي حتى  
تتمكن من أن تفهمه.

\*\*\*



## ٢ - نار الإغراء

قفز قلب آنا عندما انفتح أحد أبواب القصر الكبرى ودخل الرجل بخطى واسعة متجهاً نحو النافورة. تملكها ذهول بالغ وتوترت عضلاتها وتنبهت أحاسيسها. ومن حسن حظها أنها كانت جالسة وإلا لو هنت ركبتها.

صحيح أنه طويل وأسمر ووسيم، لكن هذا الوصف المبذل للجمال، لا يعطه حقه تماماً. كان لحيوته الفياضة تأثير مغناطيسي سمر نظرات آنا عليه.

استطاعت أن تبقى فيها مقللاً مما منعها من الهذيان أو النطق بالهراء.

كان يرتدي سروالاً قصيراً رمادياً وقميصاً مخططاً باللونين الأبيض والرمادي، مفتوحاً عند العنق، وقد ثنى كميته إلى أعلى. كانت ذراعه وساقاه تنطق بالرجولة، رجولة غير عادية تنضح بجاذبية خارقة تذهل أي امرأة مهما بلغ اتزانها!

- جدتي...

هتف بذلك ماداً ذراعيه ليعانق جدته بابتسامة عريضة، أظهرت أسنانه البيضاء وذقنه المربعة.

- أشكرك كثيراً لأنك نبت عني.

فأجابته الجدة وهي تنهض لتعانقه بحنان متبادل: «بكل سرور». احتضنها وقبل جبينها، بينما كانت آنا مشغولة تتأمل عضلاته المقتولة وشعره الأسود اللامع وأذنيه الجميلتين. وتذكرت أذني فلين النافرتين إلى الأمام، وكانت، حينذاك، قد صممت على أن تجري لأولادها عمليات تجميل إذا ما ورثوا ذلك عن أبيهم. هذا الأمر لم يعد يقلقها الآن، لكنها لم تستطع إلا أن تتذكر ذلك وهي ترى أذني انطونيو البديعتين.

ابتعد عن جدته وأخذ يحدق في آنا وعلى فمه ابتسامة مذهلة وهو يسأل: «والآنسة؟...».

فقالت: «الآنسة آنا أونيل. المرشحة الثالثة للوظيفة».

وتقدم إليها ماداً يده، وعيناه الرماديتان الممزوجتان بلون العسل تلتقيان بعينيها لتسلبا منها القلب الذي ظنته قد تحجر...: «أنا طوني كينغ».

طوني، طوني، طوني! أخذ شيء ما في ذهنها يترنم وهي تقف لتحييه.

\*\*\*

عندما نهضت آنا أونيل، أخذ طوني يفكر في رشاقة قوامها وجماله. ويدأ له أنها لا تمنع في إظهار مفاتنها فالبلوزة الملتصقة بجسمها، وينظفونها يكشفان عن خصرها الأنثوي وسرتها... هل هذا وشم فراشة؟

لم يكن الوقت يسمح بمزيد من التفحص، رغم أنه وجد نفسه معجباً بذلك تماماً.

لعل ذوقها في اختيار ملابسها قد ساء جدته، لكنه مصدر سرور للرجال، دون شك. أتراها فكرة ذكية منها من أجل المقابلة؟ أم أنها

أخفقت في إحداث الأثر المطلوب، مسجلة نقطة سوداء ضدها لدى جدته؟

مدت إليه يدها فصافحها على الفور. كانت يدها نحيلة رقيقة طويلة الأصابع ودافئة ناعمة. ابتسمت له فأسرته غمازتان جميلتان في خديها. كانت عيناها خضراوين وشعرها الأشقر الكثيف الجعد مسرّحاً إلى الخلف بشكل صغيرة غير متقنة فبقيت خصلات صغيرة تتدلى على وجهها بشكل يتلاءم مع غمازتيها الطفوليتين.

- تشرفت، يا سيد كينغ.

وكان صوتها رقيقاً كالموسيقى.

- بل طوني.

صحح لها قبل أن يفكر في ما إذا كان من المناسب أن يعطيها اسمه الأول.

فرددت اسمه بصوت ناعم مثير: «طوني».

هاتان العينان الخضراوان المليتان بالحوية أرسلتا في كيانه بهجة كادت تشوش ذهنه، كان لا يزال يمسك بيدها، وودّ لو يشدها إليه ويحتضنها...

فكر في أن يطلب من جدته أن تختار امرأة أخرى لهذه الوظيفة، وهي ستفعل ذلك بالتأكيد، فهو يفصل العمل عن اللهو. ربما سيتمكن من العثور على عمل لآنا أونيل في المدينة إذا شاءت أن تبقى في الأنحاء.

- الآنسة أونيل هي طاهيتك الجديدة.

- ماذا؟

انطلقت هذه الكلمة من فم طوني بدون وعي وترك يد آنا على الفور ثم استدار ليواجه جدته وهو يعبس لإعلانها الصاعق هذا: «أسبق وقررت اختيارها؟».

ابتسمت له بهدوء: «تركت لي القرار، يا أنطونيو. لقد تحدثنا، أنا والآنسة أونيل قبل وصولك، وأنا لا أشك في أنها ستناسبك تماماً».

اندفعت آنا من جانبه وأمسكت بيدي جدته تضغط عليهما: «آه، شكراً يا سيدة كينغ. أعدك بالأخيّب أملك. وكلما أردتني أن أطهو لك السمك، أعلميني فقط...».

تطهو؟ ولم يستطع أن يتصوّر آنا في مطبخ المركب على الإطلاق. لم يستطع أن يتصوّرهما إلا بين ذراعيه!

ومع ذلك، ها هي ترتدي ملابس مثيرة، وقد انسجمت، بشكل ما، مع جدته التي كانت تبتسم لها وكأنها قرّة عينها دون أن تهتم على الإطلاق بأنها انقضّت عليها مبرزة مفاتنها!

كان طوني لا يزال يحاول استجماع أفكاره المشوشة حين التفتت إليه مجدداً ثم أمسكت بيده مرة أخرى وهي تندفع بالقول: «سأكون أفضل طاهية استخدمتها يوماً على مركبك».

قالت هذا وعيناها تتألقان سحراً، ما زاد دقات قلبه سرعة: «سأتعلم كل ما عليّ أن أقوم به، بسرعة. أعدك بالأخيّب أملك يا طوني».

طوني... إنها تلفظ اسمه مرة أخرى بالحلاوة نفسها. وكان واثقاً تماماً من أنّ أمله سيخيّب إذا ما عملت لديه، فمزجه اللهو بالعمل لن يسبب سوى المشاكل.

وقال بسرعة: «أظن أنّ علينا أن نجلس ونحدث».

رأى أن وجود المائدة بينهما أصبح إلزامياً، إذ سيبعده عنها بما يكفي لكي ينظر إلى الأمور من الناحية العملية... إذا كان هذا ممكناً.

تركت يده وشبكت يديها معاً: «أريد أن أعلم متى تريدني أن أبدأ العمل...».

فقال وهو يشير إليها بالجلوس :

- كل شيء في وقته .

جلست على الكرسي الذي أشار إليه، وهي تكاد تطير فرحاً. وكان على طوني أن ينتزع نظراته عنها لكي يرتب أفكاره ويتمكن من مواجهة هذه المشكلة .

نظر إلى جدته التي عادت إلى مقعدها وقد بدا الرضى على محياها . كان عليها أن تتروى في قرارها، وتستشيريه قبل أن تسلم العمل إلى آنا . وتلك الابتسامة الصغيرة الذاهلة على شفيتها . . . هل نومتها مغناطيسياً لكي تنقاد إلى هذا القرار المتهور، ذات الإرادة الفولاذية هذه؟  
- ها هي روزيتا تحضر شاي العصر .

أعلنت الجدة هذا بحرارة، مبدية الرضى لتحوّل الوضع إلى جلسة اجتماعية .

تخلّى طوني عن محاولاته، إذ يبدو أن آنا أونيل تسللت إلى قلب جدته واستحوذت على رضاها . . . وهي الآن تشرب الشاي مع ايزابيلا فاليري كينغ في الفناء، وعليه أن يذعن للأمر، شاء ذلك أم أبى .

قامت الجدة بدور المضيفة، تساعدها على ذلك روزيتا التي أخذت تلبّي رغبات الحاضرين، حتى أنها قدمت الكعك والجبن والجوز . وهذا يعني بالتأكيد أن هذه الصحبة ممتازة ورفيعة المستوى .

وإذ حصل ما لا مناص منه، أخذ طوني ملف آنا أونيل ثم ركز على العمل . لقد فارقت البهجة الآن . فبغض النظر عن قوة الإغراء، كان يرى من الجنون أن يقيم علاقة مع موظفة . وحرص على أن يبقى آنا أونيل بعيدة عنه .

- أرى أن عنوانك هنا هو جانب متجر ماسون في تريبيولايشن؟

قال هذا لي شحن جو الاجتماع بالجد .

رفع بصره فرآها تلعق القشدة عن شفيتها، فثارت مشاعره وتملكه الاضطراب .

- كنت آخذ رسائلني من هناك، فقد أمضيت أسبوعين في استكشاف «دينيري»، تلك الغابة الممطرة المذهلة حقاً . يشعر الإنسان فيها وكأنه . . .

فقاطعها وهو يضرب بقلمه على طلب الوظيفة: «نعم، أين تقيمين في بورت دوغلاس؟» .

أخذت نفساً عميقاً فارتفع صدرها بشكل منعه من التركيز: «لم أجد مسكناً بعد . فقد جثت من كاب تريبيولايشن هذا الصباح من أجل المقابلة . لكنني سأجد مكاناً قبل الليل، فقد لاحظت وجود الكثير من المساكن هنا للإيجار» .

لاحظ طوني بسرعة أن آنا منساقة مع الخيال والتمنيات، وهي ليست مستعدة لهذا العمل .

- إذا كنت تنوين البقاء طوال موسم . . . .

فقاطعته: «تماماً، سأبحث عن شيء مناسب» .

- أين تركت أمتعتك؟

- وضعتها في الأمانات في حوض السفن .

ومالت إلى الأمام وقالت بضراعة: «ما سأفعله يعتمد على حصولي

على هذا العمل . . . .» .

إنها تعيش في عالم الخيال والامنيات، كما أخذ يفكر، مجاهداً برزانة كيلا يقلل من شأنه أمامها .

فتدخلت الجدة بلهجة متسلطة: «أنت بحاجة إلى شقة مجهزة بمطبخ

ممتاز . أنطونيو، ريثما تجد الأنسة أونيل ما تحتاجه، من الأفضل أن تسكن

في إحدى شقق الضيوف في مبنى كورال كينغ تحت إدارة اليساندرو» .

- إحدى شقق الضيوف؟

ونظر طوني إلى جدته متسائلاً عما إذا كانت قد جئت تماماً وأخذت تهذي، فأنا أونيل ليست من الأقارب ولا من الأصدقاء... إنها مجرد موظفة غير ذات أهمية، حالياً. حتى أنها لم تبدأ فترة الاختبار بعد. وأجابت الجدة برصانة: «أنا واثقة من أن هناك شقة شاغرة، تمنح أنا فرصة للاستقرار في عملها الجديد ووقتاً تبحث فيه عن مسكن مناسب!».

إذن، الآنسة أونيل أصبحت الآن أنا!

- هذا لطف بالغ منك، يا سيدة كينغ.

تدخلت الساحرة الشقراء ذات العينين الخطيرتين قائلة ذلك بانفعال. فقالت جدته بحدة: «هذا حل بسيط لمشكلة طارئة».

- هذا حسن.

وافق طوني على ذلك، عالماً أن سلاحه قد سلب منه قبل أن يتسنى له استعماله. لكنه أراد أن يقول شيئاً آخر قبل إنهاء الموضوع. فسمّر نظراته على آنا أونيل وقال: «أرجو أن تفهمي أنك ستمرين بفترة اختبار. فالسياح الذين يدفعون أجرة الرحلة إلى الشعاب الصخرية على مركب الدوقة موعودون بالأفضل، وأي تقصير من أي نوع لن يغتفر».

فقالت بشيء من القلق: «أتعني... لن أحظى بفرصة أخرى؟».

- هذا يعتمد على مدى التقصير أو حجم الهفوة. بعض الأخطاء يمكن التغاضي عنها، أما تلك التي تفسد الرحلة... ستكون فظيعة!

هتفت أنا بذلك وقد بدا عليها الفزع لهذه الفكرة، وامتلات عينها بجهد بالغ: «أي مشكلة صغيرة قد أتسبب بها، أقسم بأن أعوض عنها

أضعافاً. لم يحدث قط أن اشتكى أحد مني، يا طوني».

إنه يصدّقها، لأن بإمكانها أن تجعل أي شخص يغفر لها أي شيء. فها هي جدته تمنحها مسكناً فاخراً، وكلما نادته باسمه يبدأ قلبه بالخفقان ويلهيه عن التركيز على ما ينبغي عليه فعله.

أتراها ستشكّل خطراً على بحارته؟ ماذا لو فقد الغطاسون التركيز؟ من الأفضل لها أن تبقى في المطبخ حيث تنتمي، ولا تتسكع على سطح المركب. الطاهي الحالي رجل مسنّ لهذا لن تشغل باله وهو يدرّبها على الوظيفة التي ستستلمها.

- كريس، الطاهي الذي ستحلّين مكانه، سيرحل في نهاية الأسبوع، ولهذا من الأفضل أن تباشري العمل غداً فتعلمي كل ما تستطيعينه منه قبل رحيله. كان طاهياً ماهراً وأنا آسف لرحيله.

- لماذا ترك العمل؟

- لأسباب شخصية.

وتنهّد قانطاً، ثم أضاف وهو يكشر متهاكماً: «إنه يحنّ إلى حياة المدن في سيدني. للجنة حدود».

- أنا واثقة من أنني سأكون سعيدة جداً هنا.

وتألقت عينها بسعادة بالغة جعلت صدره يضيق فأرغم نظراته على العودة إلى الأوراق أمامه. لا يستطيع حتى أن يأمل في أن يتملكها الحنين إلى أضواء المدن فترحل بعيداً عن حياته. فقد بدا واضحاً من سيرتها الذاتية أنها عملت في الأجواء الاستوائية بعض الوقت... حتى أنها أمضت ستة أشهر في مزرعة جنة كينغ في كمبرلي. ولعل بورت دوغلاس جنة بالنسبة إليها.

سألته بلهفة: «في أي ساعة عليّ الحضور إلى حوض السفن غداً؟».

- الثامنة. يغادر المركب عند الثامنة والنصف ويعود في الرابعة

والنصف. ستحصلين على ثوب عمل ترتدينه على ظهر المركب طوال الوقت.

وهذا سيغطي تفاصيل جسمها المغربي. ونظر إلى ساعته: «إذا غادرنا الآن، فيمكنني أن أعرفك إلى طاقم الملاحين في المركب قبل رحيلهم». قفزت واقفة فوراً.

أغمض عيني لحظة، ثم وقف والتفت إلى جدته فننهدت: «أنت دوماً على عجلة يا أنطونيو. لم تأكل شيئاً».

فقال وهو يتقدم ليقبل خدها: «أسف يا جدي، فقد تناولت غداءً فخماً، وأشكرك مرة أخرى لقيامك بالمقابلة».

- أظن أن أنا ستسحرك بطهيها.

مهارة أنا في الطهي لا تقاس بمهارتها في الإغراء.

- سأكون سعيداً ما دامت تسحر سائحيننا.

قال هذا وهو يخفي أفكاره المظلمة.

- لا يمكنني أن أعبر لك عن شكري وتقديري لأنك منحتني هذه الفرصة، وأعدك بأن أبذل جهدي من أجل الدوقة.

جاء هذا الفيض من المشاعر من ذلك الصوت المغربي، مضيفاً المزيد من السحر على جدته التي منحتها ابتسامة عطف مشرقة للغاية.

- أرجو لك التوفيق يا عزيزتي. يجب أن تأتي مرة أخرى لاحتساء الشاي معي. لقد استمتعت بحديثنا معاً.

- يسعدني ذلك، يا سيدة كينغ.

عظيم! كما أخذ طوني يفكر ساخطاً. في المرة التالية ستدعوها إلى المناسبات العائلية، وستكون في وجهه في كل مكان. كما أن عليه أن يتجادل مع أليكس ومات لمنحها إحدى شقق الضيوف في مبنى كورال كينغ الفخم، مجاناً!

لقد وضعت جدته في موقف صعب للغاية، وعليه أن يكافح للخروج منه من دون أن يكدرها ومن دون أن يسبب لنفسه مشكلة كبرى مع آنا أونيل.

\*\*\*

العابس حتى وصلا إلى مكتب كينغ للسياحة حيث عرّفها إلى موظفة الاستقبال بسرعة وإيجاز جعل أنا تنكمش بعض الشيء .

- سالي، هذه أنا أونيل، إنها طاهيتنا الجديدة على مركب الدوقة .

- هذا عظيم . تهاني !

لكن أنا لم نجد وقتاً لتجيب .

- أعطها ثوب عمل، وكل المعلومات عن رحلاتنا . ودعيني أعلم،

عندما يعود طاقم الملاحين . أود أن أكون على علم بأخر المستجدات .

- بالتأكيد .

قالت سالي هذا بينما هرع هو إلى مكتبه الخاص . تصرفاته المفاجئة لم تخفف من إشراقها . كان وجهها الجميل ينضح بالحوية وعيناها الزرقاوان تراقصان بفضول وهي تنظر ضاحكة إلى أنا .

- أهلاً بك في شركة رحلات كينغ .

فبادلتها أنا الضحك وشكرتها، ثم أومات إلى الباب المقفل وهمست : «هل هو دوماً على عجلة من أمره؟» .

فقالت سالي تبادلها الهمس : «أصبح وضع الطاهي صعباً» .

ثم غيرت الموضوع قائلة : «لقد اتخذت هذه الوظيفة كعلاج بعد أن تطلّقت من زوجي المستبد . ماذا عنك أنت؟» .

- أنا؟

كان ذهن أنا لا يزال مشوشاً بعد هذا الدفق من المعلومات .

- حسناً، يبدو أنك غريبة في هذه المدينة ما دمت لا تعرفين قصر

كينغ . هل أنت هاربة من شيء ما؟

- بل أسعى للسياحة والتفرج .

قالت أنا هذا بمرح وقد أدركت أن سالي امرأة ثرثارة وعليها أن

تحاذر من أن تكشف لها أكثر مما يجب .

### ٣ - لا تبعدني عنك

- تعالي من هنا . سنستقل سيارة الجيب إلى حوض السفن .

قال طوني هذا وهو يخطو في الممر المؤدي إلى الناحية الأخرى من

القصر .

إنه دوماً على عجل، كما قالت جدته، وقد عرفت أنا الآن ما عنته، فهي تبذل جهداً كبيراً لتجاربه في السير . كانت نبضات قلبها تتسارع، وأملت أنا ألا تكون قد أقدمت على خطوة متهورّة، وأن تستطيع إرضاء طوني بعملها .

عليها أن تتعلم بسرعة .

كانت سيارة الجيب متوقفة قرب مدرج الطوافات التي اعتادت أنا على جلبتها، إذ كانت تنقل الضيوف إلى براري جنة كينغ . الطائرة التي يقودها طوني فخمة للغاية . مال وفير . . . مال وفير في كل مكان . هل من الممكن أن يقع مليونير في غرام طاهية؟

وراحت تفكر في المعجزات السعيدة .

كانت نظراته شاخصة إلى ساقبها وهي تصعد إلى السيارة، ثم قطب جبينه وصعد إلى مقعده .

تساءلت إن كان قلقاً بشأن العمل؟ ربما سؤالها هذا سابق لأوانه . لذا أمسكت لسانها وهما يتوجهان نحو حوض السفن . بقي على صمته

كما أن ذكرى فلين تلاشت منذ قابلت طوني كينغ. حتى أنها مستعدة الآن، تقريباً، لأن تتمنى لجودي السعادة مع فلين... تقريباً.  
قالت بابتسامة متكلفة: «أردت أن أحصل على عمل هنا لكي أمكث فترة من الزمن. هذا الجزء من استراليا رائع الجمال».  
- هذا صحيح تماماً. هل حصلت على مسكن؟

- نعم، كل شيء سوي وانتهى.  
إحساس قوي أنها بأن تبقى صامتة بالنسبة لهذا الموضوع أيضاً وهكذا اندفعت تقول: «ما أنا بحاجة إليه الآن هو كل التعليمات عن الدوقة...».

- وملابس للعمل. تعالي معي. سأعطيك ما يلائمك من ملابس وما تحتاجينه من معلومات.

كان أمامهما عشر دقائق فقط قبل أن تعود الدوقة من رحلتها البحرية. أخذتا تنظران إلى المركب من الباب المؤدي إلى الشرفة وقد بدا لآناً خرافياً على الرغم من أنها رأت الكثير من المراكب الفخمة في فريمانتل. كان أنيق الطراز ويتميز بالقوة والفخامة.

قالت سالي بزهو: «إنه الأفضل حتى الآن. وهو مكيف في الصالون وقمرة القيادة. كما أنه أكثر المراكب السياحية حداثة من حيث الطراز والتجهيزات. وهو يحتوي على منصة للغوص وأنايب هواء بالإضافة إلى مطبخ كامل التجهيزات. كل شيء فيه من الدرجة الأولى».

أومات أنا وأخذت تنظر إلى السياح وهم يسرون على رصيف الميناء، إلى الثياب التي يرتدونها، والأكياس التي يحملونها والتي بدت كلها أنيقة وغالية الثمن. هؤلاء هم الأثرياء الذين يدفعون للحصول على الأفضل ويعتبرون ذلك حقاً لهم. بدوا سعداء وهذا يعني أنه لم يكن هناك أي تقصير خلال النهار. أخذت نفساً عميقاً، وصممت على ألا تقصر في

عملها، إرضاءً لطوني. رغبتها القوية في إرضائه كانت أكبر مما عليها أن تشعر به نحو مخدومها.

بجرد التفكير فيه كان يشعل كيائها بأسره.  
ولم تستطع منع نفسها من أن تسأل: «ألا... يأتي السيد... السيد كينغ إلى المركب؟».

- آه، بلى إنه يقوده بنفسه لا سيما أيام السبت والأحد. وكذلك عندما تستأجره مجموعة خاصة. طوني يجب أن يهتم شخصياً بالشخصيات الهامة. إنه مضيف رائع، وهم، طبعاً، يتحدثون أصدقاءهم عن المركب. وهذه أحسن دعاية يمكننا الحصول عليها.

اليوم هو الأربعاء. وفكرت أنا أن أمامها يومين تطلع فيهما على سير العمل، وتستعد قبل أن تأتي إلى المركب. غداً ستحضر دفتر ملاحظاتها وتدون فيه كل ما يفعله الطباخ، وكل ما عليها أن تعرفه عن المطبخ. لاحقاً، يمكنها أن تضيف لمسائها الخاصة، وتثبت لطوني أنه حصل حقاً على طاهية ممتازة. عندئذ سيمنحها تلك الابتسامة التي تهز قلبها.

وأعادها إلى الواقع صوت سالي المفاجيء: «الملاحون خارجون الآن. إريك وترايسي وجي، وبعدهم كريس الطاهي ومساعدته ميغان، ثم القبطان دايفيد ونائبه كيت».

خمسة رجال وامرأتان، كلهم شبان مفعمون بالنشاط والحيوية. قريباً جداً سيصبحون أربعة رجال وثلاث نساء كما أخذت أنا تفكر. رأت كريس، بشعره الأشقر المصبوغ يسرع أمام الآخرين متوجهاً إلى المكتب.  
- من الأفضل أن أخبر طوني.

تمتت سالي بذلك وهي تندفع نحو بابها.  
ظهر طوني في الوقت الذي اندفع فيه كريس إلى المكتب. تبدد تقطيعه حالماً رأى طوني وسأله: «هل وجدت أحداً؟».

كان متلهفاً لدرجة أنه لم يلتق نظرة على آنا.

- اهدأ يا كريس. لقد مررت لتوك بالطاهية الجديدة التي ستحل مكانك.

قال له طوني هذا منبهأ بصوته القوي المسيطر، فسارع كريس بالقول: «آسف، آسف».

واستدار إلى آنا مبتسماً بارتياح: «مرحباً».

- مرحباً!

أجابته بابتسامة ودود. فقال طوني معرفاً أحدهما إلى الآخر: «آنا أونيل، كريس والتون سيشرح لك بالضبط في هذين اليومين، ما عليك فعله».

فالتفت كريس إليه بحدة: «هل يتوجب عليّ ذلك؟ ألا تستطيع آنا...؟».

فأجاب طوني بحزم: «لا. ستبقى حتى نهاية الأسبوع كما اتفقنا، يا كريس».

- ولكن بإمكان ميغان أن تفعل ذلك.

- إنها مسؤوليتك أنت.

كانت نظرتة حادة للغاية وهو يضيف: «لا تحيّب أملي فيك، يا كريس».

وأنا أيضاً، كما أخذت آنا تفكر بذعر وقد توترت أعصابها على الفور خوفاً من احتمال الإلقاء بها في هوة عميقة من دون حبل نجاة.

وتابع طوني: «يمكنك أن تذهب الآن وتحجز على الطائرة المتوجهة إلى سيدني مساء الجمعة، وإذا رحلت قبل ذلك فستخسر راتبك وإفادة نهاية الخدمة. هل فهمتني؟».

فانكمش كريس: «نعم، نعم. فقط ظننت...».

- لا بأس.

وتنهده وهو يلتفت إلى آنا: «لا تسيئي فهمي. العمل هنا رائع، كل ما في الأمر هو أنني مضطر للرحيل».

فأومات متعاطفة معه: «أقدر لك بقاءك لكي تدرّبني، يا كريس». هذا غير مهم.

تمتم بذلك لكن هذا لم يكن صحيحاً.

دخل الآخرون إلى المكتب، وبعد أن انتهى طوني من موضوع رحيل كريس، التفت إلى آنا وأخذ يعرفها إلى بقية الملاحين الذين استقبلوها بشاشة.

انتبهت لنتظرات طوني إليها، فأملت أن يكون مسروراً لانسجامها السريع معهم. فمن المهم جداً، في العمل مع السياح، أن يشيع الشخص جواً من التقارب والمودة. وكانت البشاشة طبيعة ثانية عند آنا، ومظهر السعادة فياضاً اليوم في وجهها.

مدينة جديدة جميلة تستكشفها.

ووظيفة جديدة تعيلها.

ورجل جديد قد يكون هو (الرجل المناسب)... إذا كان ما يحدّثها به قلبها!

- أهلاً بالغمازتين الرائعتين!

قال القبطان هذا، وكان هو آخر من تعرفت إليه، وأكبر الملاحين سناً، وربما أكثرهم وسامة بعينه البنيتين اللامعتين وابتسامته العريضة الساحرة التي حولها عنها إلى طوني: «أظنك أحضرت إلينا هنا شيئاً جيداً».

لكن ما حصل عليه كان عبوس طوني: «ما نحتاجه هنا هو طهي جيد».



فالتفت دايفيد ببشاشة إلى آنا، وقال موافقاً ونظراته مسرّة عليها:  
«تماماً، ولكن قدّمى لنا الطعام بهاتين الغمازتين ففتفتح شهيتنا».  
ضحكت وقد أعجبتها دعابته.  
قطع طوني عليها الضحك قائلاً بحدة: «هل أنت مستعدة للذهاب  
الآن يا آنا؟ هل حصلت على كل ما تحتاجينه؟»  
- نعم.

وأسرعت تحمل الحقيبة التي تحوي ملابس العمل الرسمية، بينما قال  
هو مخاطباً الملاحين: «حسناً! أتوقع منكم جميعاً أن تهتموا غداً بآنا، من  
دون أن تلهوها عن عملها. اتفقنا؟»

فأجابوه جميعاً بالإيجاب.  
وتوجهت نظراته إليها: «فلنذهب. سأأخذك إلى مسكنك الآن،  
لستعدّي للعمل صباح غد».  
- إلى اللقاء جميعاً.

قالت هذا وأسرعت بالخروج مع طوني وقلبها يخفق لمجيئه معها.  
- أين أمتعتك؟  
- من هنا.

وأشارت إلى اليسار فانطلق بخطواته الواسعة بينما كانت هي تحاول  
مجارته في السير. قالت له بتردد شاكرة له موقفه من كريس: «أشكرك  
لمساندتك لي».

فقال وهو يصرف بأسنانه: «أرجو ألا تكوني مصدر إزعاج، يا  
آنا».  
- إزعاج؟

فنظر إليها محذراً: «دايفيد هامبسن متزوج ولديه ولدان».  
- هذا جيد جداً.

قالت هذا وما زالت لهجة الاتهام في صوته تحيرها. فقال: «نعم،  
تليق الأمر بهذا الشكل».

مضت فترة قبل أن تستوعب ما يعنيه. هل يظن طوني كينغ أنها  
تشكل تهديداً لزواج دايفيد هامبسن؟ ما الذي جعله يظن ذلك؟ هل لأن  
دايفيد أدلى بملحوظة عن غمازتيها؟ هذا أمر سخيف للغاية حقاً.  
- ليس الذنب ذنبي إن كان لديّ غمازتان.

فتمتم بغموض: «وأمر كثيرة أخرى».  
وكان هذا كثيراً على آنا فسألته: «هل لديك مشكلة؟»  
فازداد عبوسه: «لا. ولماذا يكون لديّ مشكلة؟»  
- لا أدري.

قطبت جبينها إزاء هذا اللغز. لقد لاحظت انزعاجه منذ...  
- ربما لو كان الخيار لك، لما حصلت أنا على هذه الوظيفة.  
- لديّ ثقة في قدرة جدتي على الحكم.  
- يسّرني هذا!

وتنهدت للتخلص من ذلك التوتر الذي تملكها: «العمل لحساب  
شخص لا يريدك ليس مشجعاً».  
فقال بجفاء: «لا شك في أنني أريدك».  
- لا بأس في هذا إذن.

وشعرت بتحسن كبير. ولتمحو أي قلق يشعر به، قالت: «أنا، في  
العادة، أنسجم جيداً مع الناس».  
- هذا ما لاحظته.  
- وأنا لا أتورط مع المتزوجين.

- يسّرني سماع هذا.  
- وبالتأكيد لن أعبت مع دايفيد.

- عظيم .

- لقد أخبرتني سالي بالتفصيل عن وضع كريس ، وبالتالي أصبحت  
أنهم ذلك . فهل هناك شيء آخر يجب أن أعرفه عن الملاحين لئلا أخطيء  
التصرف؟

- لا أتذكر شيئاً من هذا حالياً .

- ألن تحذرنى بالنسبة إلى أريك أو كيت أو جي؟

فنظر إليها بحدّة: «ربما تقذف بك ترايسي إلى سمك القرش إذا  
أوقعت جي في شباكك . هل يعجبك؟» .

وكيف يعجبها رجل وهو موجود؟ ألا يعلم أنه كسفهم جميعاً؟  
وأجابت بإخلاص: «جميعهم جذابون ، لكن أحداً منهم لم يؤثر علي بشكل  
خاص» .

فقال بسخرية بالغة: «من يدري متى يحدث ذلك التأثير؟» .

وفكرت أنا بأن هذا ما حدث لحظة دخل حياتها ، لكنها لم تكن واثقة  
من أن طوني كينغ مستعد لسماع ذلك ، إذ يبدو أنه كوّن أفكاراً غريبة  
عنها . . .

وهذا غريب جداً لأنه لم يسبق لأحد أن اعتبرها من صائدات  
الرجال . وتساءلت عما جعله يراها بهذا الشكل؟

ثم خطرت لها فكرة سعيدة ، فلا بد أن هذا يعني أنه يراها جذابة .  
وربما أكثر من مجرد جذابة ، إذا ظن أن بإمكانها أن تجذب رجالاً متزوجين  
أثناء وجودها هنا . لقد قال لها (ليس ثمة شك في أنني أريدك) . ماذا لو  
كان ، في الواقع ، يعني أنه يريد كما يريد رجل امرأة ، وليس بمعنى أنه  
يريدها للوظيفة؟ وأخذ قلبها يخفق بسرعة ودب النشاط في خطواتها  
وكادت تكمل الطريق قفزاً نحو الأمانات حيث فتحت خزانها وأخرجت  
منها حقيبة ظهر .

- هل هذا كل شيء؟

سألها طوني وهي تغلق باب الخزانة الفارغة ، وقد بانّت عليه الدهشة  
قلّة أغراضها .

فقال بلهجة واقعية: «من الأسهل أن يسافر المرء خفيفاً» .

نظر إلى الحقيبة وكأنها تصوّر نوع حياة لا يؤمن بها . وانتقل نظره إلى  
حذائها الخفيف البالي ، ثم ارتفع ببطء إلى بنطلونها الجينز القديم الحائل  
اللون .

ارتجفت ركبناها لنظراته الثابتة التي شخصت إلى خصرها العاري  
وجسها ، وقد أطال النظر فعلاً حتى توقفت أنفاسها وأخذ النبض في  
صدغيها يخفق بقوة .

لكنها لم تلمح فيهما أي رغبة .

شعرت أنا بنفسها تنكمش ، لم تفهم سبب غضبه . وفي محاولة للدفاع  
عن النفس ، حاولت أن تقطع هذا الدفق للمشاعر ، فانحنيت لتحمل  
حقيبتها ، لكنه أمسك بها قائلاً بخشونة: «سأحملها عنك» .

لم تناقشه ، بل انتزعت يدها كيلا تحتك بيده . وعندما انطلق إلى  
موقف السيارات ، تأخرت عنه خطوة وهي تكافح مشاعرها المضطربة . لم  
تعد متأكدة مما إذا كانت تريد أن تذهب معه أو ترتبط به لأي فترة من  
الوقت .

النبت مؤلم . . .

لقد جربته من قبل .

كل تلك الأحاسيس مع فلين . . . لتعلم بعد ذلك أنه يخونها مع أعز  
صديقاتها . . .

لقد عرفت طوني كينغ لتوها ، ولكن . . .

ابتداً الغضب يحرقها ، مبدداً الألم . ليس لديه الحق في أن يعاملها

وكانها دخيلة غير مرغوب فيها في حياته .  
كان بإمكانه ألا يوافق على قرار جدته ويختار سواها . لا يجدر بها أن  
تقلق إن يبدو من الواضح أن الخطأ فيه هو .  
أما هي ، فممتازة ، جدته رأتها ممتازة .  
وبحارة مركبه رأوها كذلك أيضاً .  
لذا لا بد أن في طوني كينغ خطأ ما إذا لم ير أنها ممتازة .

\*\*\*

#### ٤ - حريق !

حاول طوني أن يسيطر على نفسه وهو يجتاز بسيارته شارع  
ماكروش . لم يشعر يوماً بالغيرة على امرأة ، ولكنه كان مستعداً لتوه لطرح  
دايفيد أرضاً وقتله لمجرد تعليق صدر منه . إنها ردة فعل فاقت الحد .  
أخذ تأثير آنا أونيل عليه يصبح أقرب إلى الكارثة . حتى عندما  
وضعت عند حده ، وأرغمته على أن يكون عقلانياً ، لم يستطع أن يتغلب  
على المشاعر المفرطة التي أثارها فيه . ليست مذهلة ، ولا أسرة . إنها  
مجرد . . . جذابة للغاية . ثم ، عندما أخذ يتفحصها مرة أخرى مع تلك  
الحقيقية المتواضعة التي أخرجتها من الخزانة وجدها مختلفة تماماً عن كل  
النساء اللاتي عرفهن .

هذه المرأة تكاد تفقده صوابه وتقضي على كل ما علمته إياه  
التجارب .

وفجأة تذكر روبين ، وهو يوقف الجيب . لقد وقع في فخها ، ثم  
وجد أنها أخذت تطالب الملاحين بامتيازات خاصة بصفتها صديقة  
الرئيس ، وتفرض سلطتها عليهم . حتى أنها كانت فظة ، قليلة التهذيب  
مع الزبائن لأنها لم تكن مضطرة إلى إرضاء أي شخص ما دامت ترضي  
طوني كينغ .

والموظفات لا يمكن انخاذهن عشيقات .

أطفأ المحرك، وقوى نفسه لينظر إلى آنا أونيل بشكل مهذب لا أكثر: «علي أن أحضر المفتاح من أخي. لن أتأخر».

وأشار إلى المبنى الذي سيدخله: «هذا المركز الرئيسي لاستثمارات كينغ، ويديره أخي اليكس. هلاً انتظرتني قليلاً؟».

هزت رأسها وهي تنظر إلى المبنى فلم يحصل سوى على لمحة من عينيها الساحرتين. كلما أسرع في تسليم آنا شقتها، كلما نجا من تأثيرها عليه.

من المؤسف أنه وحيد حالياً. ولعل المشكلة تكمن في افتقاده لعلاقة حميمة مع امرأة تعجبه، وفي الفراغ الذي يعيشه. ولكن ذلك ليس سبباً يدفعه للملاءم آنا أونيل. كل ما عليه فعله هو أن ينظر حوله، ويذهب إلى المناسبات الاجتماعية ليجد المرأة التي تجذبه، فهذا ما حصل مع جينا وأخيه اليكس.

وقد حصل اليكس على كنز بزواجه من جينا، وساعده الحظ على الهرب من امرأة استغلالية مثل رويين. امرأة بالغة الأنانية وخطيرة للغاية. لا بد للرجل من أن يكون يقظاً تماماً.

كان اليكس على وشك الخروج إذ أن الوقت متأخر.  
- مهلك لحظة! أريد مفتاح إحدى شقق الضيوف.

عاد أخوه إلى مكتبه وهو ينظر إليه متسائلاً: «لم أكن أعلم بأن لدينا ضيوفاً».

تهند طوني قائلاً: «ليس لدينا ضيوف. إنما جدتي، بحكمتها البالغة، قدمت شقة لطاهيتي الجديدة ريشما تستقر في المدينة».

- طاهية؟ هل أحضرت امرأة بدلاً من كريس؟ كنت أظنك تفضل طاهياً؟

- كان كريس ممتازاً. لكنه وضعني في مأزق وكان علي إحضار بديل عنه بسرعة ولم أحصل إلا على طلبات من نساء. طلبت من جدتي أن تجري المقابلة معهن، ويبدو أن آنا أونيل أعجبتها حقاً فممنحتها الوظيفة حتى قبل أن تستشيرني.

فقال اليكس باسم لضييق طوني الواضح: «وشقة أيضاً».

- كل ما أرجوه هو ألا ترفض الخروج من الشقة بعد ذلك.

- أنا أثق بحكم جدتي في هذا الشأن، فهي لا تخطيء مطلقاً في معرفة خلق الشخص.

فقال طوني: «ليس للخلق علاقة بالعمل».

- لا أحب أن أميز أياً من المستخدمين عندي عن غيره في المعاملة خصوصاً المستخدم الجديد.

فهز اليكس كتفيه: «إذا كان بشكل مؤقت...».

- حتى أن جدتي دعت آنا إلى شرب الشاي معها، ثم طلبت منها أن تأتي مرة أخرى.

- هكذا إذن؟

وبدت التسلية البالغة في عيني اليكس الزرقاوين: «ألا تنصحنني دوماً بأن أسترخي وأترك الأمور على حالها؟».

فتأوه طوني ساخطاً. لطالما كان اليكس متحكماً بالأمور كما أن لديه حساً بالغاً بالمسؤولية. وقد حاول طوني، على مر السنوات، أن يلطّف من صفاته هذه.

- هذا عمل يا اليكس، وليس لعباً.

- إذا كانت الجودة تظن أن هذا يحقق نتيجة جيدة، فأنا واثق من ذلك أيضاً.

قال هذا بمرح وهو يلقي إليه بالمفاتيح: «هل أفهم من هذا أن آنا

أونيل تلك، جذابة جداً؟»

- بالنسبة إلي، لا مجال ابداً للتقرب منها. شكراً على المفتاح . . .

واستدار ليخرج، وإذا به يقف فجأة: «لا تذكر هذا لماتيو».

- ولم لا؟

- لأن . . .

لأنه لم يكن يريد أن يلاحق أخوه الأصغر أنا أونيل.

- إذا؟

عاجله اليكس بذلك وقد بدا الفضول البالغ عليه. لكنه كان عاجزاً

عن التعبير عن الصراع الذي في داخله، فقال: «ربما لن يعجبه ذلك،

فجدي قد تجاوزت الحد بفكرتها تلك».

فأجابه اليكس متكهماً: «أتصور أنها أرادت فقط أن تساعدك يا

طوني. هل أنا أونيل تنتظرك في السيارة؟».

- نعم، إنها في الجيب.

- سأرافلك إذن وأتعرف إليها، ثم أعطيك رأيي.

- هذا ليس ضرورياً.

قال طوني هذا بخشونة، متمنياً لو أنه لم يكثر من الكلام.

- الفضول يملكني. وكما تقول، ليس من عادة الجدة أن تهتم

شخصياً إلى هذا الحد بشخص عرفته لتوها.

على الأقل لن يهتم اليكس بالنظر إلى امرأة غير زوجته، كما أخذ

طوني يقنع نفسه وقد تخلى عن النقاش.

حتى أن هذا الأخ لن يلاحظ غمازي أنا.

\*\*\*

رأت أنا مكتب عقارات في هذا الشارع فقررت أن تقصده حالما  
تحصل على وقت فراغ. في الواقع، أرادت أن تفعل هذا الآن لكنها خافت

أن يعود طوني فلا يجدها في الجيب فيستاء منها، وتخسر الوظيفة التي لم  
تستلمها بعد.

موقف طوني نحوها كان مشوشاً للغاية. وتمنت لو لم تقبل الشقة

التي عرضتها عليها جدته رغم أن ذلك سيكون لفترة مؤقتة، لكن الأوان

قد فات اليوم لتغيير رأيها في هذا الموضوع.

توترت أعصابها عندما رآته يعود برفقة رجل آخر. لا بد أنه أخوه

اليساندرو . . . أو اليكس . . .

كان الشبه واضحاً بينهما في قوة الملامح والشعر الأسود والخطى

الثابتة. إنهما رجلان بالغتا التأثير في النفس، لكن وجود طوني هو الذي

جعل قلبها يخفق.

فتحت أنا باب السيارة وترجّلت استعداداً لمواجهة أخرى. وهذه

الحركة لفتت على الفور نظر شقيق طوني الذي شملها بنظره ثم ابتسم إذ لم

يجد فيها أي عيب على الإطلاق.

- هذا أخي اليكس، يا أنا. هذه أنا أونيل يا اليكس.

مد اليكس يده إليها فرأت في عينيه دفناً ولطفاً وهو يقول بصوت

عميق على عكس لهجة طوني الحادة الجازمة: «أهلاً بك في بورت

دوغلاس يا أنا».

بادلته ابتسامته قائلة: «أنا سعيدة بوجودي هنا. أرجو ألا أكون قد

سببت أي مشكلة، يمكنني أن أجد مسكناً آخر أقيم فيه».

- فهمت أن طوني قد استعجلك في مباشرة العمل، ولهذا أنا سعيد

تماماً باستضافة جدي لك.

- شكراً.

وأضافت مظهرة نيّتها بعدم الإزعاج: «أعدكم بالألمح في

ضيافتكم طويلاً».

ولم تستطع أن تمنع نفسها من الشعور بالبهجة لفكرة قضاء أول أيامها في بورت دوغلاس في مكان رائع كهذا. ولا بد أنه مترف للغاية مقارنة مع تلك الفنادق التي يبيت على أسرتهما الخيرة المسافرون المتواضعون.

تبعث طوني في طريق يؤدي إلى إحدى تلك الشقق. كان يحمل حقيبتها من دون جهد، ما أظهر قوة عضلات ذراعيه وظهره وساقيه. وتنهدت متمنية لو أنه لم يكن بهذا الغموض. لم هو بعيد عن النساء يا ترى؟ لقد اختصر الكلام مع سالي أيضاً، إذأ فهو لا يعينها وحدها بصرفاته هذه.

إذا كان قد مر بتجربة سيئة مع النساء، فهذا يفسر فظاظته. وقريباً، سينسى كل ذلك ولكن استعادة الثقة بالنساء ستكون صعبة عليه، لا سيما إن كانت تلك المرأة قد خذلته وجرحته في الصميم. وشعرت فجأة بعطف بالغ نحوه وهو يفتح باب الشقة ويشير إليها بالدخول أمامه. شكرته بحرارة وابتسمت لتظهر له أنها ليست حاقدة عليه لتصرفه السيء نحوها. وعلى كل حال، هو لا يعرفها جيداً بعد...

تصلب في وقفته وهي تمر أمامه، ولم يشعر بالارتياح إلا بعد أن ابتعدت عنه. سحرتها الشقة بألوانها المشرقة ونباتاتها الاستوائية. وهتفت وقد نسيت عهداً بأن تكتفي بكلمة شكراً: «هذا جميل! وشكراً». وابتسمت له مسرورة.

وضع حقيبتها على الأرض دون أن يعقب على ملاحظتها ثم دس المفتاح في شق في الجدار، وهو يقول: «هنا زر الكهرباء ومكيف الهواء». - شكراً.

حدق إليها عدة ثوانٍ، فأحست بأنه في صراع عنيف مع ذاته. وأخيراً قال بحدة: «لا بأس. سأتركك الآن. لا تنسي أن العمل يبدأ عند الثامنة

- لا تقلقي لهذا الأمر. ثم نظرا إلى طوني وربت على كتفه قائلاً: «إليك المفتاح وأتركك لتعالج كل شيء. أتمنى لكما أياماً سعيدة!». قال هذا ورحل بينما تنهدت هي مسرورة: «يا له من رجل طيب».

- أليكس متزوج. هذا التحذير وثر أعصابها مرة أخرى. ماذا يظنها؟ أكلة رجال؟ فقالت وهي تحملق فيه بتفاد صبر: - أعرف هذا، فقد أخبرتني السيدة كينغ. كما أخبرتني بأن لديه ابناً وزوجته حامل. هل يمنعني هذا من التفكير في أنه رجل طيب وأنها امرأة محظوظة؟

عبس إزاء ضيقها هذا، وبدا عليه هو أيضاً الضيق البالغ: «كنت أعطيك معلومات لم أعلم أنك تعرفينها». - شكراً.

قالت هذا بحدة، مذكرة نفسها بأنه رئيسها الآن. ورغم أنه أكثر رجال العالم إثارة للسخط، إلا أنها لم تشأ أن تثير الناحية السيئة فيه. لذا عادت إلى السيارة مقسمة على ألا تتفوه بأي شيء ما عدا كلمة شكراً عند الضرورة.

جلس بجانبها وقال: «سأقلك إلى الشقة الآن». فنساءلت أين عسى أن تكون الشقة، لكنها اكتفت بأن تقول: «شكراً».

لم تستغرق الطريق سوى ثلاث دقائق، توقف بعدها الجيب في شارع وارف الذي كانت قد مرت به عصر هذا اليوم في طريقها إلى القصر. كانت الشقق تطل على منظر رائع للسفن الداوية والغادية، هذا عدا عن منظر الغروب الفريد.

من صباح الغد».

- سأكون في الوقت المحدد وربما قبله، كن واثقاً.

- هذا حسن!

أوماً برأسه، وبدا وكأنه تستر على العتبة، بينما كانت نظراته شاخصة إليها.

- سأحرص على أن يبقى كل شيء هنا أنيقاً. لا تخف من أن تعمّ الفوضى في المكان.

- أنا لست خائفاً. سأعطيك بطاقتي لكي تتصلي بي إن واجهت أي مشكلة.

وتقدّمت لتأخذها منه بعد أن بدا واضحاً أنه على عجلة من أمره. كان ينظر إلى البطاقة وهو يعيد محفظته إلى جيبه فيما تقدّم نحوها بسرعة كاد معها أن يصطدم بها.

بدا الدهول على وجهه وامتدت يدها تمسكان بكتفها كيلا تقع وهي تتراجع مترنحة.

- آسفة...

انطلقت هذه الكلمة من فمها قبل أن تشعر باختناق كلي وقد تملكها الدهول هي أيضاً.

كان وجهه قريباً للغاية وعيناه تلتهمان عينيها. وعندما انفردت أصابعه في ذراعها، شعر بأنهما تحترقان هما أيضاً وأحست برعشة تسري في كيانها بأكمله.

اكتسحتها موجة ساخنة أسكرت حواسها وسلبتها كل قدرة على الكلام. القوة التي انبثقت منه، السيطرة... حتى رائحته كانت تحترق خياشيمها وتملاها سحراً.

كانت تحرق إليه وهي شبه واثقة من أنه سيعانقها، إذ دنا منها شيئاً

كثيلاً، ولكنه ابتعد فجأة وكأنه صحا من سبات عميق، وللحظة ظنت أنها رأت رعباً في عينيه.

أرخص يديه عن ذراعها، وابتعد عنها كمن لسعته حشرة، ثم انحنى يخطّ البطاقة التي سقطت على الأرض. كانت آنا مخدرة الاحساس عاجزة عن التحرك فرفع يدها ودمس البطاقة في راحتها ثم ثنى أصابعها قتلاً وهو يتنفس بصعوبة: «خذني! يجب أن أذهب الآن. يجب أن أذهب. اتصلي بي إذا احتجتني».

ومرّ بأصابعه على خدها وكأنه يعيدها إلى الحاضر وهو يسألها: «هل أنت بخير؟».

وكان الرعب في عينيه قد زال ليحل مكانه القلق. أومات وهي لا تزال غير قادرة على النطق. فقال وهو يستدير ليخرج: «لا بأس».

وفي ومضة عين كان قد خرج وأغلق الباب خلفه. ووجدت نفسها تلمس خدها وكان أصابعه تركت بصماتها عليه.

لم تشعر بشيء كهذا من قبل.

ولا حتى مع فلين الذي أحبته.

طوني... طوني كينغ.

\*\*\*

## ٥ - صراع الأخوة

لم تتصل أنا.

أطال طوني التفكير في أسباب عدم اتصالها وهو يتوجّه بسيارته إلى حوض السفن صباح يوم السبت. منذ يومين وثلاث ليال وهو يحرص على أن يبقى هاتفه الخلوي معه على غير عادته متوقفاً أن يسمع صوتها في أي لحظة. كان يريد أن يسمع صوتها، فيواجه المشكلة بدلاً من العيش في هذا الاضطراب الداخلي المستمر.

حتى أنه حمل معه هاتفه إلى الحفلة التي حضرها في كيرنس الليلة الماضية ناوياً أن يدعها تسمع الأصوات الصاخبة حوله فتعلم أنه يخرج ويستمتع من دون أن يفكر فيها. لكنها لم تتصل وهو لم يستمتع مطلقاً، فما من امرأة في الحفلة استطاعت أن توقد فيه أدنى شرارة أو تلفت نظره إليها ولو للحظة.

الحقيقة التي لا مهرب منها هي أنه يريد، يريد، يريد، هي فقط. وأياً يكن ما أملاه عليه عقله فقد كان شعوره نحو أنا أونيل لا يوصف. لقد منع نفسه من معانقتها عصر يوم الأربعاء، فهو لو فعل لما تمكّن من السيطرة على نفسه ولجم أحاسيسه.

إلا إذا قالت هي لا، بالطبع.

وربما كانت ستصدّه، لأنها لم تتصل به بعد. وبقي طوني يحدث

نفسه بأن عليه أن يكون مسروراً لذلك، فهذا يثبت أنها لا تنوي استغلال تأثيرها للوصول إليه. أو ربما كل ما في الأمر هو أنها تنتظر لترى طريقة تصرفه معها اليوم. لا يعرف إلى أي حد يمكنه أن يثق في نفسه وفي تصرفه، وكل ما يرجوه هو ألا يضعف أمامها كما حصل في المرة السابقة. ربما ضخم الأمر في ذهنه لأنه... حسناً، لأنه لم يعتد على أن تفتنه امرأة بهذا الشكل... لم يحدث معه أمر مماثل من قبل. وهذا لم يعجبه مطلقاً...

على الرجل أن يعلم بالضبط ما يفعل ولماذا. عليه أن يتحكم في نفسه، أن يكون قائد سفينة حياته.

كانت هذه الكلمات تجول في ذهنه وهو يوقف سيارته وينظر إلى ساعته. الثامنة وخمس دقائق. يفترض بجميع الموظفين أن يكونوا الآن على متن الدوقة يستعدون لهذا النهار. سار على رصيف الميناء، مزهواً بأحدث انجازاته في مجال شركة رحلات كينغ. لقد نافس هذا المركب المراكب الأخرى كلها، ليس بالسرعة فقط إنما بالرفاهية أيضاً.

وعلى أنا أونيل أن تكون على مستوى رأيي جدته فيها، فإذا لم تقدم له الذ سمك تذوقه يوماً، لن يثق فيها في أي شيء آخر.

توجّه إلى المركب متلقياً التحيات من الغواصين الذين كانوا يفحصون معدات الغوص.

سألهم: «كم عدد الركاب معنا؟»

فأجابت ترايسي: «ستة وثلاثون. العدد مكتمل تقريباً».

الحد الأقصى هو أربعون. إذا فإن فالسيوم مزدحم بالعمل بالنسبة إلى الجميع خصوصاً أنا حيث كان الركاب يتوافدون لتناول الغداء.

- كيف تسير أمور طاهيتنا الجديدة؟

- أنا مذهلة.



قالت ترايسي هذا معبرة عن إعجاب بالغ بينما أوما جي موافقاً:  
«تلك الفتاة لا تفتقد مطلقاً إلى المهارة».

وقال أريك مفكراً: «إنها تملك مزايا كثيرة، فهي تجعل الحماسة  
تدب في الجميع وتجعلهم يقومون بما تريده منهم».

هكذا إذن! أخذ طوني يفكر. هكذا إذن جذبت جدته إليها أنا  
أونيل ساحرة ولهذا أوقعته في شباكها قبل أن يكتسب أي مناعة ضدها.  
كلمة مذهلة صحيحة، فالجميع يمنحها ما تريده. الوظيفة، المسكن...  
الاستحسان... ولعلها تريد أن يعانقوها أيضاً.

سألهم: «ماذا عن طهيها؟».

فأجاب جي: «لا أدري. كريس هو الذي طهى أمس».

قالت ترايسي: «أظنها كانت تساعدك إلى أن ابتدأت تصنع ذلك  
الشيء بالفاكهة».

فقال إريك: «نعم! هذا ما كنت أعنيه. لقد جعلت الجميع يتذوقه  
بسرور. وأظن أن بإمكان أنا أن تبع أي شيء إذا قررت ذلك».

قال له جي بطمئنه ضاحكاً: «لا تخف يا طوني. حتى لو لم يكن  
طعامها لذيذاً جداً فإن قدمته للناس بابتسامتها، أصبح طعمه لا  
يضاهي».

- أرجو أن يكون كلامك صحيحاً.

قال طوني هذا شاعراً بأنه هو نفسه كان ضحية سهلة لتلك  
الابتسامة.

وقالت ترايسي للغواصين الآخرين: «ولا تنسيا تلك السلطة اللذيذة  
التي أحضرتها أمس. من يعد سلطة مماثلة، هو طاه ممتاز».

فقطب طوني جبينه: «لا يجدر بها أن تحضر سلطة معها».

هزت ترايسي إصبعها في وجهه: «لا تمنعها من ذلك. إنتظر حتى

تذوقها، يا طوني».

- لا بأس. سأنتظر وأرى. أنا مسرور لأنكم جميعاً مسرورون بأننا  
سأذهب لأتحدث إليها قليلاً.

فقال أريك: «إنها أكثر بشاشة بكثير مما كان عليه كريس في الأسابيع  
الآخيرة».

لقد كوّن الموظفون صورة ايجابية للغاية عن أنا ونوعية عملها ولم  
يشعر طوني بأي حسد أو غيرة في كلام ترايسي عنها، كما أن جي وإريك  
بدا عليهما الإعجاب والمودة نحو أنا، إلا أن أياً منهما لم يبد أي اهتمام  
غير لائق بها.

هل هو الوحيد الذي تأثر بها؟

ذلك السحر... والانجذاب... كل ما يعرفه هو أن قوة تولدت  
في نفسه وهو بحاجة إلى السيطرة عليها لئلا تفسد عليه أموره. ويريد أن  
يبقى سيد نفسه. توجه إلى المقصف الذي يحيط بمطبخ المركب، واتسم  
لأنا وميغان اللتين كانتا مشغولتين بإعداد العصير للدفعة الأولى من  
الركاب.

- صباح الخير يا طوني.

وكانت هذه تحية من ميغان التي رآته أولاً. كان شعرها البني قصيراً  
جداً، قد تدلى من أذنيها قرطان من الأحجار الملونة. لم يكن لدى طوني  
اعتراض على ذوق ميغان، كما لم يكن فيها ما يجذبه.

- صباح الخير.

أجاب بذلك فيما كان اهتمامه منصباً على أنا التي بالكاد رقت  
بصرها إليه.

كان في جمودها المفاجيء توتر. بدت وكأنها تخفي مشاعرها وراء  
أهدابها لئلا يتمكن من قراءة شيء.

لكنه لاحظ الحذر في ملاحظها على الفور .  
كانت مشاعرها مضطربة مثله تماماً .

ومضت هذه الأفكار في رأسه ف شعر بسرور غامر لأن ذلك الشعور لم يكن من ناحية واحدة . لا بد أن ذلك العناق الذي أوشك على الحدوث يوم الأربعاء ، قد تركها في حالة اضطراب عاطفي هي أيضاً .  
هذه الفكرة رسمت على وجهه ابتسامة عريضة .

- آنا . . .

قال هذا بإيماءة مشجعة من دون أن يتمهل ليفكر في ما إذا كان التشجيع أمراً حسناً .

كان شعرها مربوطاً إلى الخلف . لا بد أن هذا الشعر الطويل المتموج خلّاب للغاية عندما يسدل على كتفيها . كانت هي وميغان ، تلبسان اللباس الرسمي نفسه ومع ذلك بدا أنيقاً على ميغان ، بينما ملأته آنا بمفاتيح الحلوة . وتصوّر طوني الفراشة المختبئة وتساءل إن كانت ترفرف بجناحيها .

- وصلت في الوقت المناسب !

جاء هذا الصوت من خلفه ، وكان صوتاً عرفه على الفور .  
صوت أخيه ماتيو !

مرّ بجانبه ، ووضع طبقين من الفاكهة على الطاولة الفسيحة :  
« مرحباً يا طوني ! » .

ألقي هذه التحية بلا مبالاة قبل أن يركز كل اهتمامه على آنا .

- لا بد أنك الطاهية الجديدة ، أنا ماتيو كينغ . لقد أحضرت الفاكهة التي لم تستطيعي الحصول عليها أمس . يقول لك كريس ، إذا كنت تريد تغيير عملك . . .

فقاطع طوني : « كفى ، يا ماتيو . آنا تخصني أنا » .

- آنا . . .

أخذ ماتيو يردد اسمها بسرور واضح ، متجاهلاً طوني كلياً ، ثم مدّ يده إليها : « تشرفت بمعرفتك » .

صافحته وهي تنظر إليه ذاهلة . كان ماتيو ودوداً مع النساء وموهوباً في الثرثرة . هذا عدا عن وسامته وشعره الجعد وعينييه البنيتين الأسرتين .

قال طوني بحدة : « إذا كنت تظن أن بإمكانك أن تدخل إلى هنا وتصطاد في منطقتي . . . » .

وتقدم منه بتحدي المحارب ، ما جعل ماتيو يسحب يده من يد آنا ويمدّها إليه بشكل مسالم ويقول : « أنا أعلم أنك بحاجة ماسة إليها الآن بسبب رحيل كريس ، ولكن . . . » .

- ليس هناك (ولكن) . لقد سلّمت فاكهتك والآن إنصرف بسرعة يا ماتيو .

فقال ماتيو مهدئاً : « لا بأس ، لا بأس ، لا أنوي تكبير الأمور . أردت فقط أن أقول لآنا إنني أقدر موهبتها في جعل الناس يحربون شيئاً جديداً . قلة من الناس يملكون تلك الموهبة ، يا طوني . إنها لا تستلزم . . . » .

- كم تستلزم أنت من الوقت لتخرج من هنا ، يا ماتيو ؟

فقال هذا باستياء : « أنت لا تصغي إلي » .

- هذا خارج نطاق عملك .

فنظر إليه ماتيو نظرة ذات معنى : « قال اليكس . . . » .

- لا يهمني ما قاله اليكس .

قال طوني هذا بحدة ، متمنياً لو أنه لم يقل لأخيه الأكبر إن آنا هي من اختيار جدته أكثر مما هي من اختياره هو .

- فكرت في أن . . .

كان ينبغي على البكس أن يبقى فمه مقللاً!  
منح ماتيو أنا ابتسامة جانبية.

ثم خرج متبخرأ بهزل لكن طوني أدرك أنه تضايق تماماً، فأخوه الأصغر ماهر وأحب شيء على قلبه هو أن يتفوق على طوني أو البكس. ولعل السبب هو أنه أصغر أخويه فكانا دوماً يصدران إليه الأوامر لكن ماتيو بحاجة حقاً إلى شيء من الإذلال والأفضل له أن يبقى بعيداً عن أنا إذا لم يشأ أن يعاقب بالضرب.

بعد أن حسم الجولة لصالحه، نظر طوني إلى المرأة التي تسببت في هذه المعركة الإقليمية. لقد أصبحت الآن نخصه. لكن مسألة تجاوز عقبة الرئيس والمرؤوس ما زالت معقدة. لا بد أن هناك طريقة ما.

اتسعت عينا أنا الخضراوان وهما تحدقان فيه وكأنها لا تعلم ما معنى هذا السجال الحاد مع ماتيو، وكان وجهها يتوهج احمراراً. أتراها استنتجت أنه شكى إلى ألبكس اختيار جدته للاستبدادي؟

راح يتحدث عن العمل ليعبد عن تفكيرها الأمور الشخصية.  
- إنه يومك الأول من دون كريس. أعلميني إذا صادفتك أي مشكلة، وسأبذل ما في وسعي لحلها. لا تحاولي حلها وحدك. العمل الجماعي هو الأفضل دوماً. هل هذا حسن؟

أومات وعيناها لا تزالان متسعيتين وقد بدا عليها التشوش.  
خرج بجي الركاب الذين كانوا يتدفقون إلى المركب، وقد سرت في عروقه نكهة جديدة سعيدة للحياة. ما أحسن أن يشعر المرء بأنه قائد سفينته وسيد مصيره.

\*\*\*

٦ - إنها لي

أنا نخصني أنا.

نبرة التملك في تلك الكلمات كانت عالية لدرجة أن ما من كلمات سواها اخترقت ذهن أنا أثناء ذلك اللقاء القصير مع مدير مزارع الفاكهة الاستوائية ماتيو شقيق طوني، الذي بدا شكله إيطالياً أكثر من طوني والبكس، فقد كانت عيناه أقرب إلى السواد ما ذكرها بجذته.

كان طوني قد قطع عليه كلامه بسرعة فلم تستطع أن تأخذ سوى تطبايع أولي عن حيويته البالغة ثم... أنا نخصني أنا! هل الأمر مجرد ترسيم حدود، لأنه لا يطبق أن يتدخل أحد في شؤون موظفيه؟ أم أن الأمر شخصي كما بدا؟ شخصي تماماً.

كانت متوترة إلى حد غريب أثناء مواجهتها طوني هذا الصباح والأمر هذه المرة لا يتعلق بالعمل. فبعد أن ساعدت كريس أثناء اليومين الماضيين، أصبحت واثقة إلى حد معقول من قدرتها على القيام بوظيفتها. إنه الشعور بأن لدى طوني كينغ القدرة على إثارة مشاعر فيها لا تستطيع السيطرة عليها.

الانجذاب أمر حسن وطبيعي لكن التشوش والفوضى أمران غريبان في عالم أنا التي اعتادت أن تخطط وتنظم حياتها. وعلى الرغم من قدرتها على التكيف مع الأمور المفاجئة والطارئة، إلا أن الصدمة التي سببها لها

طوني كينغ عصر يوم الأربعاء زعزعت كيائها.  
أنا تخصني أنا.

أترأه أحس أن بإمكانه أن يمتلكها إذا شاء؟ أثارت هذه الفكرة اضطرابها بشكل فظيع، فهي ليست دمية يمتلكها، إنما كائن يحتاج إلى بعض الاحترام. وإلى شيء من حرية الاختيار أيضاً. طوني كينغ لا يملكها، حتى ولو كانت طاهية عنده في مرحلة تجربة، إذ بإمكانها أن تترك العمل إذا شاءت.

ومع ذلك فهي لا تستطيع أن تمنع نفسها من التفكير في وسامته ببذلة القبطان البحرية والأرجح أن هذا رأي السائحات جميعهن إذ تتألق وجوههن عندما يجيبن ثم يلقين عليه نظرة اهتمام أخرى وهن يتقدمن إلى المقصف ليشربن القهوة أو الشاي.  
مضيف رائع.

بهذا وصفته سالي فهو يفيض السرور على من حوله وكان لديه نبعاً لا ينضب. في الواقع، كانت آنا قد ابتدأت تشعر بالغيرة لهذه الابتسامات التي يمنحها للنساء الأخريات دون حساب وتذكرت أول ابتسامة بادرها بها في القصر، قبل أن تعلن جدته عن اختيارها. كانت ابتسامة واضحة الغبطة والسرور، لكنه حجبها عنها منذ ذلك الحين مما أثار في نفسها أسئلة كثيرة وجعلها تشعر بالأسى.

ومع ذلك، كانت تواجه الناس الذين تحدمهم، بوجه سعيد. ولم يكن الذنب ذنبها حين جمدت الابتسامة على وجهها بعد أن سمعت صوتاً لم تشأ أن تسمعه مطلقاً.  
- آنا، لا أستطيع أن أصدق هذا! ما الذي فعلينه هنا؟ كنت أظنك في مركز مهم خارج البلاد...

جودي! صديقتها الحميمة السابقة جودي داوولر التي أصبحت الآن

جودي لوثيت زوجة فلين. وهذا يعني... وهبط قلبها لفكرة أن فلين موجود الآن على متن المركب، هو أيضاً.

ما زال شعرها الأسود الطويل على حاله بخصلاته المغرية التي تحيط بعينين زرقاوين كحيلتين وحمرة شفاه متألقة تتلاءم مع البلوزة الحمراء والحزام الذهبي والبنطلون الأبيض الضيق... جودي الرائعة التي أخذت تثرثر بصوت صاخب عن آنا وكيف غابت عن الأنظار كلياً... هل كانت دوماً بهذا الشكل؟

قطب طوني جبينه وراحت نظراته تنتقل بين المرأتين. من المؤكد أن فلين سيكون هو التالي في الظهور... فلين، الناشط في أسواق المال، يجسمه اللين وأناقة وسرعة بديته هو أحد الرجال القلائل الذين عرفتهم آنا بهذا العنفوان والزهو بشعره الكستنائي المحمر المميز الذي يبرز جبينه العالي، لكن دون أن يستر أذنيه، كما ذكرت آنا نفسها، رغم أن ذلك العيب لم يفلح في أن يخفف من اضطرابها الداخلي. وتمنت لو تنشق الأرض وتبتلعها.

- لم نعرف شيئاً عنك طوال الستين الماضيتين.

قالت جودي هذا متذمرة وكان آنا أجرت في حقها. سألتها آنا وهي حمر على أسنانها: «قهوة أم شاي؟»  
- آنا؟

كان هذا تضرعاً ساخطاً لكي تمنحها آنا لفنة شخصية.

- عصير فاكهة؟... مرطبات؟

نطقت بهذه الكلمات متلعثمة منكرة بعناد أي حق لجودي لوثيت عليها عدا هذه الخدمة.

وأذعنت هذه، قائلة بخشونة: «فليكن قهوة إذن، واثنان من فضلك لأن فلين سيحضر بعد دقيقة. إنه يتحدث إلى الغواصين».

ركزت أنا انتباهها على تحضير القهوة وهي تشتم بعنف لأنها أسيرة هذا المطبخ المكشوف. ولكن لتحلّ اللعنة عليها إذا منحت جودي أو فلين أي جواب خارج نطاق عملها. وهي لن تهتم إذا بدا هذا التصرف منها قلة أدب.

- أنا، بريك، كنا أقرب صديقتين...

لكن ذلك لم يمنعهما من أن تطعنها في ظهرها.

وأخذت تسكب القهوة، بينما كانت جودي تقول بصوت أشبه بالفحيج: «لم نشأ أن نؤذيك».

- ضعي السكر بنفسك.

قالت أنا هذا مشيرة برأسها إلى السكرية وهي تضع الكوبين أمام جودي، مصممة على أن تبقي يديها ثابتتين. كانت ترتجف في داخلها، كارهة موقفها الصعب هذا، كارهة جودي لهذه المواجهة الحرجة، وكارهة نفسها لعدم تمكنها من التصرف بشكل أفضل.

لم تشأ أن تتذكر الماضي، فقد ولى... ولى منذ وقت طويل. وليس لديهما الحق في أن يعودا ويذكراها به.

- تبا. لن أدعك تنبذيني بهذا الشكل.

أنانية، أنانية تماماً. ما تريده جودي ستحصل عليه. ما عدا أنها، في الأيام الماضية، كانت تغلف أنانيتها بكثير من الحلاوة حتى خدعتها وجعلتها تغمض عينيها عن هذه الحقيقة. ولكن ليس بعد اليوم... أبداً.

وجاءها الدفاع القدر: «أنا وفلين لسنا سوى بشر، يا أنا، لو أنك لم تجلسي عالياً في برجك العاجي...».

- أرجو المعذرة. عليّ أن أخدم الآخرين.

فأجابتها بحدّة: «يمكن للفتاة الأخرى أن تخدمهم».

تجاهلت أنا ذلك الجدل، وانتقلت إلى الطرف الآخر من المقصف حيث كان أناس ينتظرون. أناس غرباء رائعون ليس لديهم هدف شخصي يريدون أن يحققوه. ومنحتهم أحلى ابتساماتها: «شاي أم قهوة؟».

- شاي من فضلك.

قالت ببشاشة تسأل المرأة ذات اللكنة الانكليزية الواضحة: «هل هذه زيارتك الأولى إلى الشعاب الصخرية الكبرى؟».

فقال زوجها: «نعم، رغم أننا ذهبنا للغوص في البحر الكاريبي».

فقالت أنا ضاحكة: «آه... ولكن ما لدينا هنا هو إحدى عجائب

العنبر السبع في العصر الحديث. أنا واثقة من أن أملكما لن يخيب».

ضحكا وهما يحتسيان الشاي. وعندما تركا المقصف، قال لها

الرجل: «سنخبرك عندما نعود من ذلك المكان».

- بالتأكيد.

قالت له أنا هذا متمنية لو أطلاا الجلوس والحديث، إذ كانت بحاجة إلى وجود بعض الناس حولها لكي تتمكن من صرف تفكيرها عن جودي وفلين.

- فلين، فلين... أنظر من وجدت. وجدت أنا!

كان نداء جودي أشبه بماء مثلج انساب على ظهرها. حاولت شغل نفسها بتنظيف الطاولة ولكن...  
- أنا؟

وكان الارتباك والإضطراب واضحين في صوت فلين.

تمنت أنا أن يثقله الشعور بالذنب بحيث يرحل ليتخلص من هذا القفل بأسرع ما يستطيع.

- تعالي وألقي عليها التحية.

أمرته جودي بهذا وقد بدت في صوتها نبرة حقد تغلفها عذوبة

وجاء صوت طوني: «آه، أنت جودي، أليس كذلك؟ دعوت فلين لتؤي إلى برج القيادة لكي يراقبنا ونحن نخرج من المرفأ. شربت قهوتك على ما يبدو، تعالي إذا وانضمي إلينا».

كانت هذه طريقة لطيفة تماماً لإنقاذها.

لم ترغب أنا في أن يعلم بهذه المشكلة، لكنها شعرت نحوه بالامتنان لتدخله هذا.

قالت جودي بصوت منخفض: «شكراً، ولكن على فلين أن يلقي التحية على أنا، فنحن لم نرها منذ ز... منذ وقت طويل جداً».

إنها تضعها في موقف حرج أمام رئيسها وليس لديها أي عذر لتتجنب تحية بسيطة. ما من مفر...

عليها أن تواجه فلين.

استدارت والثورة تشتعل في نفسها، وانصبت عيناها على طوني وفي لهب عينيها الأخضر تحذير بأنها لن تنساق للعبة جودي، مهما كلف الأمر.

وقال فلين بهدوء: «تسعدني رؤيتك يا أنا».

كان باهتاً مقارنة بطوني، رمادياً باهتاً في بذلة رمادية... كان طوني أطول قامة وأكثر رجولة ما ساعده على أن يكسف فلين كلياً. أما الأعين فمتشابهة حدة وذكاء، وكانت عيناه الآن تحترقان عينيها مطالبتين أجوبة مدفونة تحت طبقات من الآلام ما جعل إخراجها إلى العلن مستحيلاً.

أومأت لفلين رغماً منها لكنها لم تتكلم معه ولم تنظر إليه مباشرة. لم يهمها أن يطردها طوني من العمل في هذه اللحظة. تحدّته بنظراتها أن يفعل هذا إذا شاء. كل شيء فيها ثار ضد التظاهر.

- حسناً، فلنذهب.

قال طوني هذا بحزم وهو يتناول كوبي القهوة ويدس واحداً في يد جودي والآخر في يد فلين: «أنا مشغولة جداً بإعداد الغداء، والجوّ جميل جداً اليوم. هيا واستمتعا بالمشهد».

ساقهما أمامه، محدثاً إياهما بكثير من الحيوية مخمداً بذلك أي احتجاج قد يفكران فيه. ومع ذلك، كانت أنا تعلم أن جودي لن تسكت طويلاً، وأنها سرعان ما ستخبر طوني أن طاهيته الجديدة هي طاهية (جديدة) تماماً، وأن خبرتها كانت دوماً في مجال مختلف تماماً.

قالت ميغان: «يا لها من امرأة لجوج».

أخذت أنا نفساً طويلاً لتخفف التوتر المؤلم في صدرها. ودّت لو تركض وتلقي بنفسها من المركب قبل أن يخرج من الميناء، لكن إحساسها بالمسؤولية منعها من ذلك. فهي لا تستطيع أن تترك العمل كله على عاتق ميغان كما أن الآخرين لديهم واجباتهم، ولا بدّ أنها ستخذل الجميع إذا تركتهم الآن ورحلت.

سألتها ميغان باهتمام: «هل أنت بخير؟».

نظرت أنا إليها والقنوط في عينيها: «هل يمكنني أن أطلب منك خدمة، يا ميغان؟».

- أن أبعدهما عنك؟

فأومأت: «لقد سبب لي الكثير من الحزن في الماضي».

- دعي الأمر لي، إذا رأيتهما يتوجهان نحو البار، فسأفسد عليهما خطتهما.

قالت أنا بابتسامة مرتجفة: «شكراً. لن أنسى لك هذا».

- بكل سرور. ومع ذلك لا أظنك بحاجة إلى أن تقلقي لأن طوني أدرك ما يحدث وسيضع حداً للأمر.

- سيضع حداً للأمر؟ ماذا تعنين بذلك؟

- لديه طريقة يستطيع بها تحديد مثيري المشاكل وهكذا يتجنب المشكلة قبل أن تتطور. الرجل ذكي تماماً وليس وسيماً فقط، أتعلمين هذا؟

أطلقتها أنا ضحكة صغيرة متوترة: «لم أكن أفكر في طوني كينغ كرجل وسيم».

فقلت ميغان ضاحكة: «تعين أنه جذاب ومثير أكثر منه وسيماً؟ ومع ذلك ليس سيئاً بالنسبة إلى رجل في سنه».

- لا. ليس سيئاً مطلقاً.  
وافقتها أنا على ذلك وهي تتساءل عن عمر طوني بالضبط. لم يخطر ذلك في بالها قط.

قالت ميغان: «على كل حال، إرتاحي الآن، فأنت لن تري أولئك الناس قبل وقت الغداء. ويمكنك أن تثقي بأن طوني سيحرص على ألا يشغلك عن الطهي. مركب الدوقة هو طفله المدلل، كما تعلمين، وكل شيء فيه يجب أن يكون ممتازاً».

- هل هو رئيس صارم؟  
سألتها أنا هذا وقد تملكها القلق الآن من الآ يراها مناسبة لأنها لم تتجاوب مع جودي وفلين. هل عليهما أن يفسدا أمور حياتها دوماً؟  
- لا. إنه منصف جداً. وهو يتوقع من الآخرين أن يكونوا منصفين نحوه أيضاً. وفي رأيي أن هذا حسن.

أومات أنا، ومع ذلك أخذت تتساءل بمرارة عما إذا كان هناك إنصاف في هذا العالم. لماذا على فلين وجودي أن يزورا بورت دوغلاس في هذا الوقت بالذات ويقوما برحلة على هذا المركب من بين كل المراكب؟ لو كان لديهما ذرة من التهذيب أو اللياقة لبقيا بعيدين عنها.

ما حدث كان غريباً، ففلين وجودي لم يحضرا إلى الصالون على

الإطلاق، وحتى لتناول الغداء. لقد أحضر كيت مساعد طوني، ظلياً ثلاث وجبات من السمك والسلطة. طهت أنا السمك بينما أعدت ميغان السلطة، ثم أخذت الوجبات إلى سطح المركب مع زجاجة من التوابل الحارة.

وقالت ميغان بزهو وهي تساعد كيت على وضع الأطعمة على الصينية: «أرايت؟ لقد جعل طوني ذينك الشخصين يأكلان معه. ما من مشكلة».

لكن المشكلة هي أنهما قد يكشفان له أموراً شخصية تفضل أن تبقى طي الكتمان، وهي عاجزة تماماً عن فعل أي شيء. والتفكير في انكشاف ماضيها، خصوصاً أمام طوني كينغ، أحببها فعلاً.

استلزم منها متابعة العمل قدرأ كبيراً من قوة الإرادة. وخفت نوترها الداخلي بشكل ما عندما انتهت وجبة الغداء على ما يرام، إذ لم يتقدم أحد بأي شكوى.

انتهت فترة بعد الظهر، وغادر المركب الشعاب الصخرية البحرية عند الساعة الثالثة عائداً إلى المرفأ. اختار معظم الركاب الجلوس في الصالون وأرغمت أنا نفسها على تحضير سلطة الفاكهة مجدداً أثناء الدقائق التسعين التي استغرقتها رحلة العودة إلى بورت دوغلاس. بينما تطوع جي وترايسي بتقديم المشروبات.

لم يقل أحد شيئاً، في الواقع، لكن أنا أحست بأن جميع المستخدمين كانوا يعملون بشكل يقبها مواجهة الزوجين لوثيت. وما يثير السخرية هو أن فلين وجودي قد تلقيا على الأرجح خدمة خمس نجوم.

وكان هذا كله من فعل طوني كينغ، طبعاً، رغم أن أنا لم يغب عن بالها أنها ستدفع ثمن ذلك بشكل أو بآخر.

ولعل طوني يفكر الآن في المشكلة التالية التي قد تطل برأسها من

أجابته متلثمة، تحذوها رغبة في التحرر من أي توتر مع فلين وجودي.

- خذي يدي إذن ودعي الأمر لي.

لكنها لم تحرك ساكناً، فأخذ هو يدها بقوة وثقة. وعرفت أنه سيتقدها مرة أخرى.

شعرت بالارتياح لوجوده بجانبها. وأحست بقوة ذراعه تبعث في قلبها كل ما يحتاجه من طمأنينة.

قال لها أن تترك الأمر له، وقد وثقت بأنه سيكون سيد الموقف، مهما دارت الأحوال.

\*\*\*

ماضي أنا لتثير الفوضى في مركبه الهادىء.

رسا المركب في حوض السفن وتدفق الركاب عائدين إلى مساكنهم. ونظف الملاحون المكان بعد خروجهم.

وعندما انتهى كل العمل، نزلوا إلى رصيف المرفأ وتوجهوا إلى المكتب ليتلقوا التعليمات عن قائمة ركاب الغد.

سار طوني خلف آنا، مشيراً إلى الآخرين بالتقدم أمامه وذلك لكي يستطيع أن يتحدث إليها على انفراد.

توترت أعصاب آنا على الفور، لكنها فكرت في أنها مدينة لهذا الرجل بإنقاذها من موقف صعب، بصرف النظر عن أنه فعل ذلك لمصلحته، لكي يتجنب مشهداً قد يكدر الركاب الذين دفعوا أجراً للاستمتاع.

أوشكت أن تشكره لولا أن هذا سيكون اعترافاً منها يقودها مباشرة إلى أرض لا تريد أن تطأها. الأفضل إذن ألا تقول شيئاً وليظن ما يشاء.

- هل تفكرين في أن تتركيني، يا آنا؟

أفزعتها هذا السؤال فتوقفت عن السير، ورفعت رأسها عندما تذكرت أن آخر مرة رآها فيها اليوم كانت عند مقصف المطبخ وهي على وشك الهرب.

أجابت: «لا. أنا آسفة لما حدث اليوم. هذا الشخصان... لا أظنهما سيحجزان رحلة أخرى على متن الدوقة».

وتوهج وجهها ارتباكاً حين قال: «إنهما جالسان الآن أمام مقهى فيوريللي بسترو، الذي سنمر به في طريقنا إلى المكتب. أنت مستهدفة، يا آنا. بإمكانني أن أمنعها من الوصول إليك. لكنني بحاجة إلى عونك. هل أنت مستعدة لهذا؟ نعم أم لا؟».

- نعم.



ابتدأت تدعي بأن عمل أنا هذا سخيف وقد ساعد طوني تماماً على تحويل الحديث إلى مواضيع أخرى ما أثار ضيق زوجته وخيبة أملها. ومع ذلك، كان طوني مقتنعاً بأن فلين ملتزم بخطته الخاصة... خطة تقضي بالانتظار. . ومحور كل الخطط اليوم هو أنا.

والسؤال هو لماذا؟

لماذا أرادت أن تهرب منهما؟ كل ما استطاع أن يفكر فيه هو أن جروحاً قديمة قد انفتحت.

وهذا ما لم يعجب طوني أيضاً.

كان يريد أن تطير الفراشة حرة معه، لا أن يؤذيها هذان الشخصان. قال: «لن نسلك الطريق المعتاد بل سنتوجه رأساً إلى سوق الخضار، ونمر بالمائدة التي اختارها في الهواء الطلق».

ومن دون أن يتوقف لحظة، قال: «يجب أن أقول إن طهيك لسماك الباراماندي ممتاز بالنسبة إلى شخص لم يتعلم الطهي».

نظرت إليه متوجسة فضحك لها: «أنت نجحت، وهذا هو المهم. والآن بادليني الابتسام. سنخوض حديثاً سعيداً حتى أننا لن ننتبه إلى الزوجين لو ثبت».

تألقت ابتسامتها وقالت: «لقد تلقيت تدريباً يا طوني ولو أنه ليس رسمياً. فأنا طاهية متمرنة».

- وهو أفضل تمرين على الإطلاق.

قال ذلك باستحسان، وسرها أنها ما زالت تلفظ اسمه فتشعر بتلك الوخزة في جسمها، بينما كان يتابع: «والأفضل من ذلك أن كل الملاحين يحبونك. أنت من الأصدقاء، يا أنا».

- إنهم أشخاص طيبون.

- هذا صحيح، فقد اخترتهم بنفسني.

## ٧ - سيد الموقف

أعجب طوني بالثقة التي أولته إياها أنا. أما ما لم يعجبه فهو رد فعلها تجاه ذلك الثنائي الذي قتل ظهوره على المركب هذا الصباح حيويتها ونشاطها الطبيعيين. والأسوأ من ذلك أنها رفضت حتى النظر إلى الرجل.

ليس عليه أن يكون عبقرياً لكي يفهم الموضوع. إذا أراد أن يبقيا عنده، فعليه أن يبقيهما بعيداً عنها. فلو فقد أنا أونيل لن يكون سعيداً، ليس لأنه سيصبح من دون طاهية وهي التي حازت على استحسان الملاحين، ولكن لأن نوعية العلاقة التي تجمعهما لا تزال مجهولة المعالم.

ومع ذلك، أثار موقف أنا أسئلة كثيرة لا سيما وأنها بقيت متوترة طوال النهار بسبب حضور الثنائي لو ثبت. فعرف أن أمراً ما يجري وهو يود أن يعرف ما هو.

كان يوماً ممتعاً للغاية وهو يرى ذلك التفاعل المتبادل بين الزوجين. لم يرَ أي دليل على الحب في ذلك الزواج، حتى أن طوني شك في أن يكون هذان الزوجان قد أحبا بعضهما أصلاً. فالمرأة لعبوب تمزج الغزل الماكر بالدعابات المبطنة وقد بدا زوجها متضيقاً من مداعباتها الماكرة. تملص طوني من أسئلة جودي الكثيرة عن أنا مكتفياً بالقول إنها تعمل كطاهية في المركب. وكان فلين لو ثبت قد أمر زوجته بخشونة بأن تقفل فمها عندما

لمعت عينها بسخرية: «ما عداي أنا».

- أنت حتماً المفاجأة المذهلة ولن أنحلي عنك. إنهما ينظران إلينا. امنحيني ابتسامة مشرقة أخرى. ففعلت.

- لديك غمازتان قاتلتان، يا أنا أونيل وأنا أريد أن أراك تضحكين. استطاعت أن تضحك، طاردة الذعر الذي أثاره تحذيره في نفسها. عندما لمحت جودي طريدها متجهة إلى السوق بدلاً من المنتزه، أمسكت بذراع زوجها، تستعجله على التصرف. فنهض فلين من كرسيه ولوح بيده: «طوني، تعال وتناول القهوة معنا. وأنت أيضاً أنا».

فاشددت أصابعها على يده. ما أثار اضطرابه هو أن فلين يضايقها أكثر من جودي. فمجرد التفكير في أن لأي رجل تأثيراً قوياً على أنا يضايقه إلى حد بعيد.

أجاب طوني رافعاً ذراعه: «أنا مشغول جداً. استمتعا بوقتكما». ما جعل جودي تنهض وتقول بإلحاح: «الحقا بنا حين تنتهيان». فقال ببشاشة: «لدينا خطط أخرى».

وعندما دخلا إلى الساحة الآمنة، نابذين الزوجين اللذين بدوا سخيفين في ملاحظتهما اللجوجة، لاحظ طوني الارتياح الذي بدا فجأة على ملامح أنا، فقرر عدم التعليق على هذا. وتملكه شك قوي في أنها لم تتحرر بعد من تأثير موطنها عليها. وأنبأه حدسه بأنها أصبحت محطاً لسخط الزوجين اليوم فهما ليسا من النوع الذي يقبل بفشل مخططاته. فقد اعتادا أن ينتصرا.

لكنهما على أرض طوني. وكذلك كانت أنا. وطوني لا ينوي أن يفشل. وهو سينقل المعركة إليهما مباشرة إذا اضطر إلى ذلك. اليد التي في يده منحته الحق في أن يقوم بذلك، وهو لا يريد أن يفلت هذا الحق من

يده لحظة واحدة، ما دام فلين لوثيت في المدينة!

\*\*\*

كانت ركبتا أنا واهنتين. ولكن أصبح بإمكانها الآن، على الأقل، أن تتنفس الصعداء مرة أخرى، وابتسمت لطوني ابتسامة صادقة. - شكراً لمرافقتك لي.

لمعت عيناه مداعباً: «أنا استمتع جداً بدور الفارس الذي يأتي ليخلص الفتاة الحزينة».

وإذ أدركت ما سببت له من إزعاج هذا النهار، قالت: «سأكون يخبر غداً».

فضغط على يدها: «دعينا ننتهي من اليوم أولاً».

فتذكرت بأن ما زال لديها عمل، وعليها أن تركز على ما ينبغي أن تطلبه من مواد غذائية من أجل رحلة الغد. لم تفكر في سحب يدها من يد طوني، كما أنه لم يتركها، هو أيضاً، حتى وصلا إلى المكتب، وعاد كل منهما إلى مسؤولياته. عندئذ فقط أدركت كما كان احتكاكهما الجسدي ذاك مريحاً لها.

أثناء العامين الماضيين، اعتادت أن تعيش حياتها وحدها. ولم تكن تمنع في البقاء وحدها. كان من السهل جداً أن تبحث عن صديق متى شاءت. ومن الغريب أن تتذكر الآن كم كانت حذرة من تأثير طوني كينغ عليها هذا الصباح. لعل شعورها بأنه يهتم بها عاطفياً جعل الأمر يختلف! أم لعل اهتمامه هو بالعمل فقط. وهو يريد أن يظمنن إلى أنها لن تتركه.

وبشكل ما، لم يهتما هذا. فقد أمسك يدها أثناء حاجتها إلى ذلك، وشعرت بارتياح لم تشعر بمثيله منذ وقت طويل.

بعد أن أكملت طلب الخضار والأسماك ليوم الأحد، واطمأنت أكثر إلى وضع وظيفتها بعد أن أصبح طوني متمسكاً بها، ومسروراً بطهيها

أيضاً، ركزت أفكارها على يوم الغد وهي تستعد لمغادرة المكتب. لم يعد عليها أن تفكر في جودي وفلين بعد الآن ولن تفعل. لن يكون الغد مظلماً بذكريات الماضي. غداً سترى طوني مدة أطول وقد يكون هو الرجل الذي سيمحو صورة فلين من ذاكرتها بعد أن ظنت أنه الرجل المناسب ذات يوم... فباله من تهوّر منها.

- أنا!

قفز قلبها. كان طوني خارجاً من مكتبه الخاص، فوفقت وقد توترت أعصابها مرة أخرى ظناً منها أنه سيسألها عن علاقتها بجودي وفلين.

قال بحدة: «سأقلك بسيارتي حتى باب مسكنك».

حدّقت إليه وقد أدركت أنه فكر في احتمال أن يقطع عليها الطريق الشخصان اللذان تريد أن تتجنبهما. لم يبد هذا احتمالاً في نظر آنا، رغم أنهما كانا ينتظران نزولها من المركب.

فقالت: «لا داعي لذلك، لن يستغرق ذلك سوى عشر دقائق سيراً على الأقدام».

- دقيقتان في السيارة، والبيت في طريقي. عليّ أن أمر على القصر. جدتي تريد أن تعرف أخبارك.

التفكير في جدته ودورها في وضعها الحالي كان يملأ ذهن آنا وهما يستقران في السيارة. وعندما انطلقا قالت بسرعة: «قالت سالي إن إجازتي هي الإثنين والثلاثاء. سأخرج حينذاك لأبحث عن مسكن لي».

لكنه أجابها من دون اكتراث، وكان إقامتها في أملاكهم لا أهمية لها قائلاً إن لا ضرورة للعجلة! أترى انطباعها عن موقفه منها نهار الأربعاء الماضي كان خطأ؟ وأرادت أن تستوضح الأمر، فقالت: «كنت أظنك تريدني أن أخرج في أسرع وقت ممكن».

ألقي عليها نظرة جانبية جعلت قلبها يخفق، وأثارت فيها شعوراً

قوياً حاولت أن تتجاهله. ثم أجاب: «أريدك أولاً أن تشعرني بالإستقرار في بورت دوغلاس. تمهلي في اتخاذ القرار المناسب».

كان كلامه منطقياً، خصوصاً على ضوء اندفاعها للهرب من البلد هذا الصباح. في الظاهر، بدا وكأنه يبذل من نفسها منابع القلق، ويمنحها مجالاً، مع ذلك شعرت بأنه الآن يقلص المسافة التي كان قد وضعها بينهما في أول لقاء لهما.

ومن ناحية أخرى، لعلها هي حساسة فوق العادة، أو لعلها متوترة من الضغط النفسي الذي عانته أثناء مواجهتها جودي وفلين. واحمر وجهها ارتباكاً وهي تشعر بدافع يحثها على القول: «كنت شهماً للغاية معي طوال اليوم، وأنا أقدر لك عونك هذا لي... اهتمامك».

أوقف السيارة أمام شقتها فقالت: «لا تطفئ المحرك، سأنزل هنا. أشكرك مجدداً، يا طوني».

لكنه أطفأ المحرك.

حسبت أن ذلك يؤدي إلى شيء آخر... الحقيقة، ببساطة هي أنها لم تكن مستعدة لأي شيء آخر. فشعورها نحو طوني كان متردداً مشوشاً. ألقت عليه نظرة قنوط وضراعة، وإذا بها ترى أن تركيزه لم يكن عليها على الإطلاق.

كانت نظراته مركزة على سيارة جيب أخرى... وأصيبت آنا بهزة عنيفة وهي ترى السائق ذا الشعر الكستنائي ورفيقته التي ترتدي بلوزة حمراء وينظرون أسود.

- لقد لحقنا بنا!

فألقي عليها نظرة بالغة العزم: «نعم. لا تجادليني يا آنا، فأنا سأدخل معك بيتك».

ونزل من الجيب صافقاً الباب خلفه بحزم قبل أن تستطيع هي تمالك

نفسها. كانت في حالة تشتت لأن فلين وجودي أصبحا يعرفان الآن أين يمكن أن يعثرا عليها أثناء أوقات فراغها.

وعندما دار طوني حول الجيب أحست بسيل جارف من الطاقة والحيوية يتدفق من شخصيته القوية وبدا في عينيه لمعان المعركة وكسا وجهه القوي عنف لا يخفي نواياه.

وهنت ركبتها مرة أخرى وشعرت بعجز ومشاعر لا سيطرة لها عليها.

وضع طوني ذراعه حول خصرها وشدها إلى جنبه. وبشكل ما، استطاعت ساقاها أن تجارياه في خطواته الواسعة، فوصلتا إلى باب الشقة بسرعة بالغة. أخذت تبحث في حقيبة يدها عن المفتاح، وحين أخرجته أخذه منها وفتح الباب وأدخلها، ثم سمعت الباب يصفق، وإذا بها تجد نفسها في وضع لا مهرب منه.

قال راضياً: «لا بأس! عندما يعودان سيريان سيارة الجيب الخالية فيستنتجان أنني هنا معك. ولا أتوقع منهما التطفل لأنني لست أنا من يريدان الاحتكاك به...».

كان مستحيلاً دحض منطقها هذا. وشعرت بالغثيان للاحتقنها لها بهذا الشكل. ماذا يريد فلين وجودي منها بعد؟ ألم يأخذها منها ما يكفي؟ ألم يسيئا استخدام الثقة التي وضعتها فيهما؟ ونظرت باكتئاب إلى الرجل الذي نصّب نفسه حامياً لها. كانت عيناه تتوهجان بالأسئلة، والكلمات الوحيدة التي استطاعت أن تفكر فيها هي: «الذنب ليس ذنبي».

رقت أساريره بعطف: «أظنك بحاجة إلى شراب منعش. إذهبي إلى الشرفة وتنشقي الهواء النقي ريثما أحضر لك الشراب. ماذا تريدين؟».

فقالت بلهجة متكلفة مفرطة في الرسمية: «أنا عادة، أشرب الماء فهو جيد للصحة».

جلب جوابها ابتسامة ساخرة محت التجهم من على فمه: «لا بأس، سأحضر إليك كأساً من الماء».

- شكراً.

من الأفضل أن تبقي ذهنها صافياً، فلديها مهلة دقيقتين قبل أن يبدأ طوني أسئلته.

سارت إلى الشرفة، عالمة بأن الجلوس فيها لن يمنحها الشعور بالسلام وبأن هذا اليوم المشحون قد انتهى أخيراً.

- أنا.

توقفت وقد هفا قلبها لهذا النداء الرقيق. ليس الآن... وتوسلت بصمت... ليس الآن. لم تستطع أن تحمل نفسها على النظر إلى الخلف، وأن تواجه ما ينبغي عليها أن تواجهه. ليس الآن.

سألها بهدوء حازم: «عليّ أن أعرف المشكلة لكي أجد لها حلاً. وأنا لا أريد أن أغادر هذه الشقة وأنا أتساءل عما إذا كنت سأجرك غداً هنا».

كيف يحل المرء مشكلة لا يمكن حلها؟

وكيف يتصرف المرء مع أشخاص مثل جودي وفلين؟ خرجت إلى الشرفة ثم سارت إلى الحافة تتكئء عليها، وتنظر إلى المياه، وإلى حقول قصب السكر خلفها ولون الشفق يصبغ الأراضي والبحر.

من المستحيل رد قوى الطبيعة إلى الوراء. كل شيء يسير في مجراه وفق مخطط قديم كالزمن. ربما هذا هو شأن الناس أيضاً، ولا رادع لهذا.

أخذت تفكر في ذلك... واهتز كيائها وهي تسمع خطوات طوني خلفها على الشرفة. لقد أحضر معه إحدى قوى الطبيعة التي كانت أقرب إليها بكثير من تلك الممتدة أمامها. كانت تلك القوة تتقدم نحوها مباشرة، وهي أيضاً لا يمكن صدّها وردّها إلى الوراء.

ضمّهما، وعيناه تتوهجان في عينيهما، مصممتين على احراق أي حاجز قد  
تفكر في وضعه بينهما.

لا وقت لذلك . . .

ضمّهما بقوة إليه فاضطربت مشاعرها وارتفعت يداها إلى كتفيه  
الرائعتين.

كانت تحسّ بخفقات قلبه الذي يطرد من نفسها شعور الوحدة وبرد  
الوحشة وانعدام الأنيس، ويمنحها الإحساس بأن لا أحد يمكنه أن يقف  
بينها وبين هذا الرجل. لن يسمح بذلك. لن تكون هناك امرأة أخرى،  
بل هي . . . هي فقط.

وتفجر الشوق في داخلها، صارخاً بالحاجة إلى أن تملأ به فراغ  
حياتها.

أسندها بذراع واحدة فألقت بذراعيها حول عنقه، بينما راح يلامس  
نعومة وجهها مرسلأ الشوق في كيائها، جاعلاً كل نبض في جسدها يخفق  
فرحاً، باعثاً فيه أحاسيس لا تصدق. وعندما رفع رأسه وأخذ ينظر في  
عينيهما، بدا وكأنه ينفذ إلى أعماق روحها بقوة لا يمكن إنكارها.

- تعالي وطيري معي!

إن الحرية الوحيدة التي تريدها الآن، هي حرية الطيران مع هذا  
الرجل . . . أرادت أن تحلق معه عالياً. وبالفعل، حلقت سعيدة معه  
حتى بدا وكأن السماء السحرية التي رحلا إليها قد تفجرت نجوماً متناثرة  
من الأحاسيس أضاعت نفسها بينها.

لكنها لم تبق ضائعة، فقد ضمّهما طوني إلى صدره أكثر بينما كانت  
هي تداعب شعره. ربما كان من الخطأ أن تقارن، لكنها لم تستطع أن تمنع  
نفسها من التفكير في أنه أكثر قوة من فلين وأكثر وسامة. طوني كينغ . . .  
الملك بين الرجال. وابتسمت لهذه الفكرة، فبادلها ابتسامتها، قائلاً:

## ٨ - تائهة وحائرة

وضع طوني كأس الماء على الطاولة لكن أنا لم تشأ أن تجلس. كانت،  
في الواقع، قد بعدت عنه بقدر ما استطاعت، محاولة صرفه عنها.

أتراها تفكر في فلين لو ثبتت، متمنية . . . ؟

لا، تباً لذلك! مهما كان ما حدث بينهما فقد أصبح في الماضي، وهو  
متزوج الآن. صحيح أن زواجه ليس سعيداً ولكن هذا ليس هو  
الموضوع. لم يشأ طوني أن تكون أنا ضعيفة إزاء فلين. إنه يريد أن يمحق  
من ذهنها هذا الرجل حالاً. والحديث عنه لن يساعد في ذلك.  
- أنا . . .

التفتت إليه. النظرة الضائعة في عينيهما أحدثت في صدره توتراً لا  
يطاق. هذا خطأ، فهي ليست وحدها، وليست ضائعة. إنه هنا وعليه أن  
يؤثر فيها.

\*\*\*

خفق قلبها للطريقة التي نطق بها اسمها . . . والتي كانت أشبه  
بمطالبة عنيفة بها. بعث هذا فيها شوقاً جارفاً وقبل أن تجد الوقت لتفهم  
ما يجري، كانت ذراعاه حولها وراحتها على صدره، وهو يدينها منه،  
ناسفاً من ذهنها كل حسّ بما يجري وذراعاه القويتان تدعمان رغبته في

«هل أنت سعيدة؟».

سألها وعيناه تغوصان في عينيها المبتهجتين، فأجابت ببساطة:  
«نعم».

كان هذا صحيحاً رغم أنها لم تشأ أن تعرف السبب.  
التوت ابتسامته نوعاً ما: «أرجو ألا نكون قد تسرعنا، فأنا لا أحب  
المزج بين العمل والحياة الشخصية».  
أزعجتها ملاحظته، لكنها لم تعلق كثيراً على الأمر فأجابت بسرعة:  
«لا تقلق».

ثم أضافت معترفة: «أنا لم أعانق أحداً هكذا منذ عامين».

فقطب جبينه: «منذ عامين».

تمتم بذلك وكان طول تلك المدة بدا له غير طبيعي.  
فهزت كتفها: «لم أرغب في ذلك».

نظر إليها بحدة: «لكنك رغبت فيه معي؟».

نعم.

فسألها وهو يتفحص عينيها: «وأنت سعيدة لهذا».

نعم.

وكيف لا تكون سعيدة مع رجل مثله. وارتسمت على وجهه ابتسامة  
عريضة: «حسناً، وكذلك أنا، يا آنا أونيل. ينبغي أن أقول إنك أربكتني  
وأتعبتني منذ اللحظة التي رأيتك فيها».

أنت... مرتبك متحيرة؟

وهزت رأسها غير مصدقة: «ظننتك لم ترغب في».

لم أرغب في أن تكوني موظفة عندي. فكما قلت لك، لا أحب  
المزج بين العمل والعلاقات الشخصية.

فقال متفهمة: «أنا لن استغل هذا في العمل يا طوني».

- هذا صحيح. أنا لا أعتقد أنك ستفعلين ذلك.

وأخذ يلامس خدها وينظر إليها بحنان: «واضح جداً أنك لست  
استغلالية يا آنا».

وهو أيضاً ليس كذلك. كانت واثقة من هذا.

أخذت تفكر في غرابة هذا النهار... كان الاضطراب يملكها هذا  
الصباح لقوة تأثيره عليها، لتجد عند العصر أن هذا صحيح إلى درجة  
محيّرة، وأثناء ذلك عادت جودي وفلين مع كل الذكريات الأليمة.

\*\*\*

رأى طوني تألق السعادة في عينيها يخبو قبل أن تنسدل أهدابها،  
سائرة تينك النافذتين الخضراوين على روحها. وأحس على الفور أنها  
ذهبت إلى ذلك المكان الكثيب الذي لم تشأ مشاركته فيه. أترأه قال شيئاً  
أزعجها.

غير استغلالية...

لكن جودي كانت استغلالية.

ستان من الوحدة ابتعدت فيهما عن الرجال. ربما بإمكان المرأة أن  
تتحمل البعد عن الجنس الآخر مدة طويلة من دون أن تشعر بالكثير من  
الضغط النفسي. فالنساء مختلفات عن الرجال بكل تأكيد، ولكن لا بد أن  
ما حصل لها أطفأ مشاعرهما نحو الرجال، يبدو هذا واضحاً من رد فعلها  
تجاه فلين لوثيت...

هل كانت تفكر فيه؟

تقارن؟

فكر حالاً في إبعاد أفكارها عن ذلك الرجل فقال مغيراً الموضوع:  
«أسدلي شعرك».

لهجته الأمرة أخرجت آنا من ذكرياتها المرة. إنها مع طوني الآن...

طوني الذي ينظر إليها بمثل هذا الحنان الذي يكاد يفقدها تركيزها . . .  
- شعري؟

رددت ذلك متعجبة لرغبته هذه، فقال بابتسامة صغيرة متحدية:  
«أريد أن أراه منسداً بحرية».

حرية . . . يا لها من كلمة سحرية تبدد كل المشاعر التي أثقلتها هذا  
النهار. جذبت ضفيريها الغليظة إلى الأمام وراحت تحلها.

جعلتها نظراته تشعر بأنها جذابة للغاية، خصوصاً عندما هزت  
شعرها المنسدل فأخذ يلف خصلاته على أصابعه ثم جذبها إليه بمشاعر  
محمومة بينما شعرها يحيط بوجهيهما. غاصا في عالمهما السحري  
الخاص . . . عالم أنا وطوني فقط، وكأنهما شخص واحد . . . كان طوني  
يحتضنها، ويجعلها تشعر بأنها رائعة.

كل ما كانت تعرفه وتؤمن به مع فلين ثبت أنه خطأ . . . كل الخطط  
التي وضعتها بالنسبة إلى عرسهما راحت سدى . . . لذا من الأفضل أن  
ترك الأمور على طبيعتها مع طوني . . . كل ما تريده الآن . . . وتشعر به  
هو . . . طوني.

\*\*\*

## ٩ - في الحب كما في الحرب

جالت ايزابيلا فاليري كينغ بنظراتها في قاعة الرقص لترى إن كان كل  
شيء جاهزاً للحفلة. فقصر كينغ مكان ممتاز لمثل هذه المناسبات السعيدة،  
ويسرها عادة، أن تطمئن إلى حسن سير الأمور كما تفعل هذا المساء.  
ذكرتها البهجة الظاهرة على وجهي العروسين بعدم تعاون أنطونيو معها  
بالنسبة لخططها من أجله.

كانت قد طلبت منه أن يمرّ على القصر عصر هذا اليوم، ليطمئنها إلى  
اختيارها طاهية مركب «الدوقة». . . وهو طلب معقول تماماً في هذه  
الظروف. كان هدفها الرئيسي معرفة مدى اهتمامه بآنا أونيل وما إذا  
يتمكن أن يرى فيها رفيقة مناسبة له في مسيرة الحياة.

من المؤكد أنهما انجذبا إلى بعضهما البعض، ذلك أن ايزابيلا لم يفتها  
اعجاب كل منهما بالآخر. فقد كانت شرارات التجاذب واضحة بينهما  
أما ما تريد أن تعرفه ايزابيلا فهو ما الذي يقيهما متباعدين، وما إذا كان  
يتمكنها المساعدة على إزالة أي مشكلة.

لا يمكنها أن تبقى مكتوفة اليدين. وتأخر أنطونيو عن زيارتها،  
حسب وعده، كان مشيراً للغيب. ومن ناحية أخرى، ليس من عادته عدم  
الوفاء بالوعد. لا بد أن سيبأ ما منعه من القدوم، رغم أنه كان عليه أن  
يتصل بها ويعلمها بالأمر من باب التهذيب. وإذا شعرت بالرغبة في

التحدث عن استيائها إلى روزيتا، خرجت من قاعة الرقص بهدوء عائدة إلى الناحية الخاصة من القصر حيث يمكنها أن تتصل بحفيدها الشارد أو باتا أونيل لتدعوها إلى شرب الشاي في يوم عطلتها.

نظرت إلى ساعتها فوجدتها السابعة والرابع. كانت قد تناولت طعامها، لكنها ستجد روزيتا دون شك في المطبخ تحضر الطعام على أنطونيو يأتي فيأكل شيئاً. منذ أكثر من عشرين عاماً، وروزيتا تفسد أحفاد إيزابيلا الثلاثة بتدليلها لهم، وقد آن الأوان لكي يكونوا أكثر مراعاة للمرأة التي خدمتهم طوال حياتها.

دخلت المطبخ ساخطة وإذا بها تقف مجفلة عندما رأت انطونيو يندفع إلى المطبخ، وكان يرتدي بذلة القبطان الرسمية وكأنه جاء لتوه من مركب الدوقة. توجه رأساً إلى الهاتف، وهو يلقي إليها بكلمات اعتذار دون أن يتكبد عناء التوقف ليقوم بذلك.

- آسف يا جدي. طراً شيء ولم ينته بعد. عليّ أن أقوم باتصال هاتفي ولن يستغرق ذلك سوى دقيقة أو اثنتين. مرحباً روزيتا. ولا أريد أن أكل شيئاً، سأتعشى في الخارج.

وكان أثناء حديثه يطلب الرقم، فأحجمت إيزابيلا عن الكلام. كان انطونيو مستعجلاً للغاية ووهج العزم في عينيه. لقد رأت هذه النظرة على وجهه مرات كثيرة، حين كان صبياً، مما يعني أنه مقبل على معركة ولا يمكن أن يشبه عن ذلك شيء.

نظرت إلى روزيتا التي كانت تحضر الفطائر وتبادلنا نظرة قلقة، فهما تعرفان تصرفات انطونيو المتهوررة عندما يكون مصمماً على عدم الفشل. قال: «نوتيليس؟»

قطبت إيزابيلا جبينها. نوتيليس هو مطعم فاخر كان الرئيس الأميركي نفسه قد اختار تناول العشاء فيه عندما زار بورت

دوغلاس... وهو لا يمكن أن يكون ميداناً لمعركة.

- هنا طوني كينغ. قام الزوجان لوفيت... فلين وجودي بحجز مائدة عندكم لهذه الليلة. هل لك أن تتأكد من ذلك، من فضلك؟ كانت لهجته عادية لا تنبئ بأي عداء. مجرد خدمة.

- شكراً. في أي وقت تتوقع وصولهما؟ ونظر إلى ساعته وهو يوميء للجواب: «أود أن أتعشى هناك الليلة. هل لك أن تحجز مائدة أخرى لشخصين؟ أنا أعلم أن طلبتي متأخر، لكنني سأقدر لكم كثيراً إذا...»

بدا الارتياح على وجهه، ما ينبئ بجواب إيجابي. وكانت إيزابيلا تتساءل بقلق عن عساها ترافقه إلى المطعم. أتري في حياته امرأة أخرى؟ - شكراً. سنصل عند الثامنة والنصف. هناك خدمة أخرى... أفضل ألا أكون في الناحية نفسها حيث مائدة آل لوفيت فقد سببنا لي بعض المضايقات اليوم.

مضايقات؟ لماذا إذن يريد المزيد منها؟ إن المطعم مجزأ إلى ناحيتين متواجهتين وكل الزبائن بإمكانهم رؤية بعضهم بعضاً. - مائدتهم في الناحية المرتفعة وستضعنا في الناحية المنخفضة؟ عظيم! لك جزيل الشكر.

ووضع السماعة وعيناه تتألقان ظفراً لحصوله على ما يريد. ساحة المعركة جاهزة، ولكن ما هو موضوع القتال؟ ابتدأت إيزابيلا تقول بجهد بالغ: «أنطونيو...»

فتمكن من أن يضحك لها: «مشغول جداً يا جدي. عليّ أن أغتسل وأحلق وأغير ملابسني. سأتحديث إليك غداً. هذا وعد».

- أريد دقيقتين من وقتك. إن موعدك في المطعم بعد ساعة، واستعدادك لن يستغرق كل هذا الوقت.



- حسناً، ماذا تريدان أن تعرفي في دقيقتين؟

شيك ذراعيه مظهراً الصبر، لكن ايزابيلا فسرت وقفته بأن لا شيء سيثنيه عما يريد.

- أنا أونيل.

قالت ذلك وشعرت بشرارة من الظفر حين رأت يديه تنقبضان. أترى أنا وراء المعركة التي يستعد لها؟

- هل هي ملائمة؟

فأجاب باختصار: «تماماً. الجميع يحبها ونحسّن طهي السمك. وأنا أنوي الاحتفاظ بها، هل ارتحت؟».

واستعد للذهاب مفترضاً أنه قال ما يكفي.

- أفهم من هذا أنها ما زالت في الشقة التي أعطاها إياها اليساندرو؟  
- نعم.

وتردد وقد قطب جبينه قليلاً: «لماذا تسألين؟ الإثنين هو أول يوم عطلة لها، وهي مشغولة جداً بالبحث عن مسكن».

- كنت فقط أفكر في الاتصال بها من باب المودة. والآن وقد انتهت أنت من الهاتف...

- لا تفعلي.

انطلقت هذه الكلمة من فمه كالسهم.

نظرت ايزابيلا إليه مؤتبة: «عفواً؟».

خفتت اللهجة العدوانية في صوته إذ أدرك أن ليس لديه سلطة عليها وعلى قراراتها: «أسف يا جدي. ولكن إذا شئت أن تتصلي بها، فأرجوك أن تقومي بذلك غداً وليس الليلة».

- لقد أخبرتني لتوك بأنها في أحسن حال!

فتمتم بغموض: «ستكون كذلك».

- ولكن ليس حالياً.

- كادت أنا تترك الوظيفة اليوم بسبب راكبين في الدوقة. لم تشأ أن تتحدث عن الماضي الذي من الواضح أنهما على علاقة به. بدا أنهما يريدان أن ينشبا مغالبهما في حياتها مرة أخرى، وأنا لن أحتمل ذلك.

- إذن، أنا ستخرج معك للعشاء الليلة؟

ضاقت عيناه: «نعم، إنها بحاجة إلى أن تتحرر منهما. وأنا سأفقد لعبتهما تلك بأي وسيلة؟».

- انطونيو، هل تعلم أنا بخطتك؟

- ستكون معي.

أجاب بذلك بثقة جعلت ايزابيلا تدرك على الفور أن انطونيو يستلم زمام هذه المعركة بنفسه.

- هل ستلقي بها في حلبة المصارعة مع هذين الشخصين اللذين تريد أن تتجنبهما؟

فانفجر غاضباً: «هل تظنين أن الهرب يحل الوضع يا جدي؟ لقد أمضت سنتين هاربة منهما وكانت ستهرب مرة أخرى لو أنني لم أنصرف هذا الصباح».

هزت ايزابيلا رأسها، فهي لم تلمس مثل هذا الخوف لدى أنا أونيل. لقد بدت لها فتاة سعيدة... بعيدة، خالية البال، واثقة من نفسها.

- هل أنت واثق من أن هذا ما هو عليه الأمر، يا أنطونيو؟

فأوما عابساً: «كل شيء سينتهي الليلة، وأنا ستبقى معي».

كان ينبغي لنبرة التملك في صوته أن تدفء قلب ايزابيلا، وتمنحها الأمل في أن أنطونيو وجد أخيراً المرأة التي قد يحبها ويكرمها، لكنها لم تكن واثقة من ذلك.

- أنت تفعل ما تريد، ولكن هل هذا ما تريده أنا؟ أنت قلت إنها لم

تحدث عن هذا الماضي . إنك تتخذ لنفسك عدواً دون أن تعلم ما هو .  
فقال بعنف : «إنهما يزعجانها ، وهذا عذر كاف يجعلني آخذها  
لتواجههما وتتخلص منهما» .  
فألحت عليه : «إسألها ، يا أنطونيو . إسألها إذا كان هذا ما تريده  
هي» .

فقال محذراً : «إبقي بعيدة عن الأمر يا جدي . سيجري الأمر كما  
أريد أنا» .

وابتعد بخطوات واسعة .

قالت روزيتا بهدوء : «إنه يريد أن ينقذها» .

- ولكنه يا روزيتا يتصرف كثور معصوب العينين يناطح ثوراً  
آخر .

- تعين أنه يحمي ما يملك .

تنهدت ايزابيلا ساخطة : «قد تكون نتيجة هذا الصراع سيئة» .

- ألا تظنين أن أنطونيو سينجح؟

- ما الذي يجعل امرأة تهرب من شخصين متزوجين؟ ماذا لو أن  
السبب هو حب لم يشيع؟ حب كان ممنوعاً عليها؟

وهزت رأسها متمنية لو تعلم المزيد : «هناك سبب لعدم رغبة أنا في  
الحديث عن هذين الشخصين» .

- إذا كان الرجل متزوجاً فهو إذن لا يلائمها .

قالت روزيتا ذلك وهي تحضر العجين فأخذت ايزابيلا تفكر .

- فلين لو ثبت هذا لا يمكن أن يكون سعيداً في زواجه . فأنطونيو  
يعتبره تهديداً له وإذا كان هذا الرجل يفكر في الطلاق . . .

فقالت روزيتا بحزم : «أظن أن على أنطونيو أن ينقذها» .

هذا حسن جداً إذا أرادت هي ذلك ، لكن ايزابيلا تعلم بفضل خبرتها

أن نساء هذه الأيام يفضلن الاختيار بأنفسهن .

كانت ايزابيلا تتمنى لو أن الحياة بسيطة والناس أقل تعقيداً . وعندما

توقفت روزيتا عن العجن ، نظرت إلى ايزابيلا بعينين ذكيتين للغاية .

- ما من شيء يمنع أنطونيو من القيام بما يريد ، يا ايزابيلا . وأنت  
تعلمين هذا .

هذه النظرة القدرية لم تعجبها على الإطلاق : «لا يمكنه أن يجعل أنا

تختار ما يريد . هذا التصرف متسرع وعليه أولاً أن يبعدها عن طريقهما ،

ثم يحاول أن يستميلها إليه شيئاً فشيئاً . سوف يفسد كل شيء» .

فقالت روزيتا تذكراً : «لكنك ظننت قبلاً أن اليساندرو أفسد كل

شيء مع جينا بتصرفه المتسرع» .

- نعم . لكننا كنا نعرف خلفية جينا . وكان هو يعلم أن بإمكانه أن

يتغلب على مخاوفها .

- ونحن نعرف خلفية آنا أونيل أيضاً . تلك الفتاة لا تريد حياة

فوضوية . ربما أنطونيو محق في أن يكافح من أجلها .

- إنها مجازفة .

- هو رجل مجازف بطبيعته . وإن لم يكن ملائماً لها ، فلن يكونا

سعيدين معاً .

كان هذا منطقاً لم تستطع ايزابيلا أن تناقشه . أنطونيو هو . . .

أنطونيو . لا حذق ولا مراوغة . ربما ورث ذلك عن زوجها الذي ولد

ونشأ في البراري .

ادوارد . . .

تذكرت أنه ألقي عليها نظرة واحدة . . . نظرة أدارت رأسها ، ثم

قال : «أنت لي ، يا ايزابيلا قاليري» .

فأصبحت له .

ولم تعرف رجلاً سواه قط. لكن ذلك حصل منذ ستين عاماً،  
والزمن تغير. وسواء أكان انطونيو ملائماً لآنا أم لا فذلك أصبح بيد الله،  
الآن.

\*\*\*

## ١٠ - كوني منصفة

تسارعت خفقات قلب طوني وهو يستدير حول الجيب ليساعد آنا  
على الترجل. كانت تنتعل حذاء أحمر عالي الكعبين وكان بديعاً في قدميها  
اللتين صبغتهما الشمس بلون العسل.

كان فستانها مثيراً جداً، بتخاريمه وأزهار الخشخاش الوردية  
الحمراء المطبوعة عليه.

عشق شعرها الذي كان يتموج فوق كتفيها والذي فاحت منه رائحة  
زهر الليمون، ما جعله يفكر على الفور في أن يدفن وجهه فيه ويتنشق  
عطره.

تأبطت ذراعه عندما وضعت قدميها على الأرض، ثم انتصبت واقفة  
وقالت بابتسامة آسفة: «شكراً يا طوني. أظن أنه عليّ أن استند إليك فأنا  
لم أنتعل هذا الكعب العالي منذ وقت طويل».

ضحك وقال وهو يضع يده الأخرى على يدها: «عندما تتأبط امرأة  
رائعة الجمال مثلك ذراع رجل، فهو لن يدعها تبعد عنه. أريد أن يعرف  
الجميع أنك لي، يا آنا أونيل».

رقصت عيناها الخضراوان سروراً: «وأنا أيضاً، يا طوني كينغ».

- تمسكي بهذه الفكرة.

ضحكت دون أن تدرك أنه كان جاداً تماماً. وعندما سارا باتجاه

المطعم، تملك القلق طوي عدة لحظات لما كان يقودها إليه. كانت سعيدة معه، فهل ينبغي عليه أن يأخذها إلى مكان آخر ويؤسس سعادة تمحو ماضيها؟ هل هذا ممكن؟

حتى ولو كان ممكناً، فهل يمكنه أن يعيش دون أن يعرف خيارها لو كان فلين في متناول يدها؟

لا، وخيار الهرب خاطيء. ربما كان هذا صواباً بالنسبة إلى أنا منذ عامين، ولكن ليس الآن. ليس معه. عليه أن يعلم... وعليها أن تعلم... أن الوقت الذي تمضيه معه هو المهم. التصرف وردة الفعل فقط يظهران الحقيقة.

سيبقى الزوجان لوقيت في بورت دوغلاس ثلاثة أيام أخرى، فقد أخبراه بذلك. من الأفضل إذن إن يتواجهها مع آنا الليلة فتتغلب على ماضيها.

وصلا إلى بوابة المطعم، فتوقف فجأة عالماً أنهما عندما يجتازان هذه البوابة، لن يتمكنوا من العودة إلى الورا. هل عليه أن يخبرها بما ستواجهه؟ تردد صدى صوت جدته في ذهنه: (إسألها إذا كانت تريد ذلك)... لكن ماذا لو اختارت الهرب مرة أخرى...

لا

لا يمكنه أن يحتمل أن يكون لفلين أو لجودي كل ذلك التأثير عليها. إنها ملكه هو. وهي تريد أن تكون معه. إنها تتعلق بذراعه ولا أحد سيتدخل بينهما.

وفتح البوابة.

\*\*\*

عندما أغلق طوني البوابة خلفهما، تنفست آنا بعمق. كان جسدها كله يغلي فرحاً. إن الأمسية رائعة... كما أنها مع طوني، الذي لم يجعلها

تشعر بأنها رائعة الجمال وحسب بل كان هو رائع الجمال أيضاً. من حسن الحظ أنها احتفظت بهذا الثوب والحذاء لتجد شيئاً لائقاً لتلبسه، بل أكثر من لائق. فقد رأت الفستان في آخر عرض للأزياء نظمت، وكان هدية تقدير من مصممه لعملها في العرض... تذكراً من حياتها الأخرى. لكنها لم تلبسه قط لأجل فلين، حتى أنه لم يره يوماً فقد كانت تحتفظ به... .

وهزت رأسها تنبذ هذه الذكريات. وعاد طوني إليها وأمسك بذراعها مرة أخرى، وسرها أنها ما زالت تحتفظ بهذا الثوب لتلبسه لأجله، لتجعل من هذا المساء مناسبة غير عادية، لأنها غير عادية فعلاً. فهو غير عادي إلى حد غريب، ومذهل الوسامة بقميصه الأحمر وبنطلونه التبنّي. حتى ألوان ملابسهما كانت متلائمة نوعاً ما. وكان هذا يقوّي الاحساس بأنهما حبيبان ما زاد في رفع معنوياتها.

احتضنت ذراعه بسعادة وهما يسيران في ممر هذا المطعم الفخم، وإذا بهما يصبحان على الفور داخل غابة صغيرة عزلتهما كلياً عن المدينة خلفهما.

بين الأشجار والنباتات الخضراء كان الناس يتناولون العشاء على ضوء الشموع.

- آه، ما أروع هذا!

قالت آنا هذا بصوت خافت وهي ترى في كل هذا نموذجاً للشاعرية الاستوائية.

فقال طوني ساخراً: «إنهم يقدمون أيضاً طبقاً رائعاً من السرطان».

ضحكت ثم سألته والخبث في عينيها: «هل لهذا السبب أحضرتني إلى هنا؟ لكي أتعلم شيئاً من أساليبهم في الطهي؟».

كان في ابتسامته لمحة من السخرية المرة وهو يقول: «لا. ليس لمجيشنا إلى هنا علاقة بخبرتك في الطهي».

خفق قلبها لذكرى عناقهما: «حسناً، عليّ أن أعترف بأنني لم أطبخ من قبل السرطان لذا ربما استطعت أن أتعلم شيئاً كهذا».

- هذا الطبق من اختصاص أهالي شمال كوينزلاند.

- إذن، عليّ أن أتعلمه، فأنا أعشق هذا القسم من استراليا.

- ألا يكفيك أن تعيشي هنا؟

خفق قلبها وهي تنظر إلى عينيه المتسائلتين بجد. هل يعني بذلك أنه يريد أن يعيش هنا؟

لكن الوقت مازال مبكراً للغاية لمثل هذه الأسئلة، فأجابت بمرح: «ما زلت لا أدري بعد».

صعد درجات متعرجة تؤدي إلى ردهة الاستقبال وأشار إليها طوني لتسير أمامه: «من الأفضل أن تمسكي بالدرايزين وأنت صاعدة».

أخذت تثرثر أثناء صعودها: «أتعلم؟ أمضيت أسبوعين رائعين في كان تريبيولايشن قبل مجيئي إلى بورت دوغلاس. هل مزرعة الشاي التي رأيتها هناك هي التي قالت جدتك إنك تديرها؟».

- نعم، مع أنني أدير اثنتين. الكبرى هي بقرب إينسفايل.

- بالإضافة إلى شركة رحلات كينغ السياحية.

لا عجب في أنه ينتقل بالطوافة لكي يبقى على اتصال بأعماله.

- لا بد أن لأسرتك أهمية كبيرة في هذه المناطق، يا طوني. نظراً

لعراقتها هنا...

فسألها بهدوء: «وماذا عن أسرتك يا آنا؟».

- عموماً نحن عائلة منتجة. أبي مخترع. أمي مؤلفة. إخوتي وأخواتي

يعملون في حقول مختلفة.

ومنحته نظرة جانبية ساخرة عندما وصلا أخيراً إلى أعلى الدرج وتقدم ليقف بجانبها ثم قالت: «أنا الوحيدة العاطلة عن العمل».

فرجع حاجبيه: «هل أنت نادمة على ذلك؟».

هزت رأسها: «لا».

وكان هذا صحيحاً. لم تشأ أن تعود إلى ضغط حياتها السابق. لن تدع العمل يستعبدها بعد الآن أبداً في حياتها.

وإذ كانت تشعر بالرضى البالغ لوجودها في هذا المكان الممتاز، ابتسمت للمرأة التي تقدمت لتحييها.

- طوني، يسعدني أن أراك هنا.

فأجاب بحرارة: «وأنا مسرور لتمكثك من تأمين مكان لنا».

- والأنسة...؟

فأمسك بيد آنا وقال للمرأة باسمياً: «إنها آنا أونيل، وهي تريد أن تتذوق طبق السرطان. أرجو أن يكون قد تبقى لنا شيء منه».

- لقد تأخرت. لكنني سأسال الطباخ بعد أن أخذكما إلى مائدتكما.

وألقت على طوني نظرة عطف ذات معنى، ثم أشارت برأسها نحو الناحية المنخفضة.

- المجموعة الأخرى استقرت في الأسفل.

وتساءلت آنا عما عتته بالمجموعة الأخرى، بينما قال طوني: «حسناً فلنذهب إذن».

سارت أمامهما صاعدة الدرجات التي أدت بهما إلى مائدتهما. كانت آنا لا تزال تتساءل عن (المجموعة الأخرى). لم يذكر لها طوني أنه

سيقابل أحداً هنا، ولكن لا بد أن حديثاً جرى بهذا الشأن عندما حجز المائدة وتملكها شيء من خيبة الأمل لأنه كان لديه دوافع أخرى

لإحضارها إلى هنا. نظرت حولها لترى إن كان هناك من يشير إلى طوني،

وتوقف قلبها عن الخفقان .

جمدت قدمها .

فلين !

فلين يحدق إليها ، ثم ينهض عن كرسيه واقفاً .

- أنا؟ انتبهي إلى الدرجات .

وضع يده على يدها : «لن أدعك تسقطين على الدرجات» .

حوّلت نظراتها عن الرجل الذي كانت ستتزوج ، ونظرت إلى الأسفل ، إلى حيث تظأ قدمها . كان طوني يمسك بها ، وهو سيحميها من فلين إذا اقترب منها . لقد فعل هذا عصر هذا اليوم وسيفعله مرة أخرى الآن . عليها الآن ألا تدع ساقها تترنحان وهو ينظر إليها كعادته ، فيأكلها بعينيه وكأنما . . .

لا ! لن تتذكر ذلك . لقد فات الأوان . ولي ذلك منذ وقت طويل . إنه خطأ بالغ . لقد تزوج جودي وانتهى الأمر .

- لقد حجزت مائدة في الناحية الأخرى .

قال طوني هذا يعلمها أنهما لن يجلسا في الناحية نفسها التي يجلس فيها فلين .

وشعرت بالارتياح . تقدما إلى الأمام من دون أن تسمع من يناديها أو

ينادي طوني .

كانت مائدتهما بعيدة عن طاولة فلين رغم أنه بإمكانه ، دون شك ، أن يراها من حيث هو ويراقبها إذا شاء . لكنه لن يستطيع أن يرى الكثير لأن طوني أجلسها على كرسي عالٍ من الخيزران ، ما منحها شعوراً بالعزلة . يمكنها إذاً أن تتجاهل وجوده ، لكنه موجود ، والأرجح أن جودي معه .

سمعت طوني يطلب مياهاً غازية . ابتسمت أنا وأومات إيجاباً لأنها لم

تستطع أن تركز على قائمة الطعام في يدها . وجدت أنه من الأسهل أن توافق على ما قرره طوني ، لأن الطعام لم يعد يهمها في شيء . وتركهما النادل وحدهما .

أخذت نفساً عميقاً ، محاولة أن تنبذ فلين وجودي من ذهنها من كل النواحي . ثم نظرت إلى طوني مباشرة ، شاعرة بالحاجة إلى أن يلهيها عن الزوجين اللذين لا تريد التفكير فيهما . وانقبض قلبها وهي تراه يلقي عليها نظرة حادة يقظة أرسلت صدمة في كيانها .

كان يعرف ما تشعر به .

كان يعرف أن فلين وجودي هنا .

وكان يعرف هذا طوال الوقت .

إنهما هما (المجموعة الأخرى) .

وسألته من دون تفكير : «لماذا؟» .

لم يحاول أن يتظاهر بعدم الفهم ، ولمع العزم في عينيه ، وشعرت بإرادته الفولاذية خلفهما . أجابها على الفور : «لأنني لا أحب ما يدور بينك وبين الزوجين لوقيت . . . وقد آن الأوان لوضع حد له» .

اضطربت يداها : «أنت لا تفهم . . .» .

- حاولي إذن أن تشرحي لي ، يا أنا .

لم يكن هذا التماساً بل أمراً ، تحدياً بأنه لن يجعلها تراجع عن ذلك . مال إلى الأمام ، ومدّ يده فوق المائدة وأمسك بيدها ، مرغماً إياها على أن تتذكر ما جرى بينهما .

- أنت معي ، وقد أمضيت معي وقتاً حيباً اليوم . ومع ذلك ، ها أنت الآن تدعينهما يفرضان نفسيهما علينا ، ويفسدان علينا لقاءنا . ما الذي منحهما الحق بذلك ، يا أنا؟

- أنا آسفة. الأمر... هو أنني لم أرهما منذ سنتين فأعادا إلي... ما كان.

- دعينا نتحدث عن (ما كان) بشكل مكشوف، وبهذا أعرف ما أتعامل معه. لقد طال صمتك. شاركيني بالأمر.

- أفضل ألا أفعل. صدقني أنني لا أريد ذلك يا طوني. أرجوك... فلتحدث في مواضيع أخرى. حدثني عن مزرعة الشاي. أرجوك، أود أن أعلم المزيد عنك.

- وأنا أودّ أن أعرف المزيد عنك. لماذا تهرين يا آنا؟ أنت تركت كل شيء وهربت. وما زلت هاربة. لا أريدك أن تستغليني معتبرة أنني طريق نجاة لك، وهذا ما تقومين به حالياً.

سكت لكي تستوعب هذا، وعيناه ترفضان أي تفسير آخر لرد فعلها على هذا الوضع. وبدا على ملامح آنا الخجل والذعر معاً إذ أدركت أن ما قاله صحيح.

- كوني منصفة معي، يا آنا.

راح صوته يحثها برقة، لكنه كان أمراً في الوقت عينه. إنه يميل عليها كيف يجب أن تسير علاقتها.

لقد وقف بجانبها اليوم. وهو يقف بجانبها الآن، لكنها ستفقدته إذا لم تكن منصفة، وهذا ما ينتظرها. وفجأة وجدت الطريق أمامها واضحاً للغاية. فهي لا تريد أن تفقد طوني كينغ.

\*\*\*

## ١١ - هل يغفر القلب؟

تؤثر كل عصب في جسم طوني وهو ينتظر قرارها، واستقرت نظراتها على يديهما المتشابكتين لحظات بدت له دهرأ. أراد أن يضغط أكثر على يدها، لكنه يعلم أن القوة لن تجديه نفعاً. هذه المعركة هي من أجل قلبها وعقلها وروحها وعليها أن تمنحه كل ذلك بإرادتها.

عليها أن تدرك أن ما قاله هو الحقيقة، أن تدرك أنه بجانبها وأنه سيحارب كل الذكريات المؤلمة التي تثقل ذاكرتها.

كان قد رأى فلين لوثيت يقف عندما وقعت عيناه على آنا، ورأى الدهول على وجهه يستحيل شهوة جارفة لرؤية الثوب المثير الذي ترتديه الليلة. ثم رأى جوذي تشده ليعود إلى الجلوس كما لاحظ نظرة الإحباط والغضب التي رمق بها زوجته وهو ينساق لغضبها.

كانت رائحة المتاعب تفوح من تلك المائدة وكانت آنا هي السبب. ولم يشأ طوني أن يعتقد أن فلين لوثيت ما زال ساكناً في قلبها. لم يشأ أن يعتقد أنها... لا تستطيع... أن تتخلى عنه. تمنى أن يكون الأمر مجرد جرح يمكن محوه وستدعه يساعدها على التخلص منه.

- لا بأس.

تمتت بذلك وهي ترفع إليه عينين خائفتين. كانت هذه سهرة سيئة بالنسبة إليها، وقد أرغمها عليها وعليه الآن

أن يسهل لها الطريق. ضغط على يدها بخفة وهو يقول مطمئناً: «أنا مستمع جيد يا أنا، فلا تقلقي. سأكون بجانبك حتى النهاية».

منحته شبه ابتسامة ساخرة، ثم سحبت يده من يدها واستندت إلى الخلف مستجمعة شجاعته لكي تعود إلى الماضي. واستند طوني إلى الخلف، هو أيضاً. جاء النادل بالمياه الغازية ما منحها مزيداً من الوقت لتعرف كيف تبدأ. أمسكت بكأسها ترشفه بلهفة وكأنها لم تشرب منذ زمن. انتظرها بفروغ صبر، محاولاً السيطرة على ردات فعله.

ابتدأت تقول: «كنت أعمل ضمن فريق لتنظيم المناسبات الاجتماعية كالاحتفالات، والمعارض وعروض الأزياء والنشاطات التي تتطلب البذخ. كنا نبتكر أفكاراً ومواضيع تتماشى مع نوع الحدث، نهتم بالموسيقى والحملات الدعائية. وكان من مهامنا أيضاً أن نحرص على أن يكون كل شيء على ما يرام».

- إنها مسؤوليات كبرى.  
قال طوني هذا مشجعاً.

أومات تجيبه: «وضغط نفسي كبير أيضاً... كنا نعاني دوماً من الضغط النفسي. كنا نعمل ساعات طويلة ونسافر على الدوام. نبتهج كلما أنجزنا عملاً ضخماً، لكنه كان أيضاً استنزافاً بالغاً للطاقة. لقد استحوذ العمل على معظم حياتي... حفلات تتعلق بالعمل، أناس علي أن أقابلهم، اتصالات علي أن أقوم بها».

فقال طوني وهو يوميء متفهماً: «إنها طاحونة لا تتوقف».

فابتسمت ساخرة من نفسها: «بل أشبه بقطار مدينة الملاهي الذي يصعد ويهبط ويدور من دون توقف. لم أتوقف قط لكي أرى وجهتي ومستقبلي أو لأسأل نفسي لماذا، أو حتى إذا كان هذا حقاً ما أريد. لم أتعلم أن أفعل هذا إلا بعد أن تركت كل شيء».

وبدا الألم في عينيها وهي تتابع: «أثناء الستين الأخيرتين من عملي كنت أعتبر جودي صديقتي الحميمة، ربما لأننا تشاركنا الشقة نفسها. وفي الواقع كدت أرفض عندما طلبت مني جودي أن أشاركها شقتها. كانت أكبر مني سناً، وكانت آنذاك تعمل في مجال الأثاث وقد تزوجت زميلتها في الشقة فراحت تبحث عن شريكة تستطيع دفع نصف إيجار الشقة. كنت أنا أكسب الكثير من المال فبدت لي أشبه بصعود درجة أخرى».

تملك طوني شيء من الشك في أن تكون جودي قد استغلت الوضع لمصلحتها الخاصة فقال: «أظنك اضطررت لأن تنسجمي معها».

بدت الدهشة على آنا: «نعم. أرادت أن يكون كل شيء وفق مشيبتها. لكنني لم أختلف معها لأنه كان لديّ أنا أيضاً مصلحة في ذلك، فقد كانت تسليني وتحضر لي ملابس حديثة الطراز. كانت وظيفتان تتداخلان أحياناً لذا كان لدينا الكثير من الأصدقاء والمعارف المشتركين».

- كما كنت توسعين من دائرة حياتها الاجتماعية.

- كان لدى جودي قائمة بأسماء الرجال العازبين، فكانت تحتال للحصول على دعوات إلى الحفلات التي يحتمل أن يحضروها، ثم تجرني خلفها.

- تجرّك خلفها؟

فهرزت كتفيها ساخرة: «غالباً ما أكون متعبة جداً فلا استمتع بذلك، لكن جودي كانت تصر على ألا تفوتني فرصة».

- لكنها كانت في الواقع تصطاد لنفسها.

بيطء وتعاسة، أقرت مكرهة: «أظن ذلك... ففي الليلة التي تعرفت فيها إلى فلين... كان هو هدفها. أو ربما أصبح هدفها لأنه فضّلني عليها».



وأطلقت تنهيدة طويلة مرتجفة: «لا أدري. حينذاك ادعت أنها سعيدة لأجلي. واستمرت في ذلك الإدعاء حتى الأسبوع الذي سبق زواجنا».

صُدم طوني لما سمع... كانت على وشك الزواج من هذا الرجل، وهذا يعني أنها كانت تحبه، وربما ما زالت تحبه. من المؤكد أن فلين لوئيت يكثر لأمرها.

وتابعت أنا كلامها: «حتى أنني اخترت جودي لتكون اشبيتي بدلاً من أخواتي. يمكنك أن تقول إن ذلك كان... أكبر حدث في حياتي. نظمت كل شيء حتى أدق التفاصيل».

سكنت وقد كسا الحزن وجهها وجمدت عيناها وشردت نظراتها، وأدرك طوني أنها تتخيل كيف كانت الأمور لتجري لو أن الزواج تم... أخذت نفساً عميقاً وقد فاضت عيناها بالأم: «لقد وثقت بها.

وثقت بها وأوكلتها أن تتفق مع فلين بشأن خطط الزفاف حين أكون أنا مرتبطة بعمل. ظننتها صديقتي الحميمة».

خيانة... خيانة عمياء لا شك فيها. جودي أرادت فلين وحصلت عليه مستغلة كل فرصة سانحة، في غياب أنا. كما أن فلين استجاب لإغوائها. أترأه أخذ يلعن نفسه وحماته منذ ذلك الحين؟

وصل طبق ثمار البحر والسلطة الساخنة، وكان طبقاً لذيذاً لكن أنا لم تكن تشعر بالجوع. سألتها وقد تذكر إلحاحها على شرب الماء عصر هذا اليوم.

هل تفضلين الماء؟ فأجابت بابتسامة جافة: «لم أعد مضطرة إلى توخي الحذر منك بعد الآن، أليس كذلك؟».

- لا. وأرجو أن تكوني مسرورة لذلك. الحذر يجلب الشعور بالوحدة، وأنا لا أريدك أن تشعرني بالوحدة معي. فلنأكل! لا تدعي شيئاً يفسد استمتاعك بطعام جيد.

وابتسم مشجعاً، فقالت هازلة بجفاء: «سيكون إهانة للطاهي ألا تذوق طعامه».

تأوهت طويلاً وعادت تستند إلى الخلف، ثم نظرت بفضول إلى طوني الذي أحس أنها تقارن جاذبيته بجاذبية الرجل الذي كانت ستزوجه. قالت متأملة: «لم أنجذب إليه في البداية. جودي لفتت نظري إليه في الحفلة وكان واضحاً أن له شخصية قوية. لكن أول انطباع أخذته عنه هو أنه كان يعلم بأهميته ولم أرغب في التنافس لجذب انتباهه».

هل كان هذا صفقة لغروره هو؟ أن تتجاهله امرأة بجمال أنا اونيل؟ أخذ طوني يتساءل ساخراً. بينما كانت هي تتابع: «أما لماذا اختار أن يلاحقني أنا، فهذا ما لا أعرفه».

وأخذ طوني يفكر في أن هذا من باب التحدي وتابعت هي: «لقد فعل المستحيل لكي يلفت انتباهي. تملكني في البداية غرور بالغ، وبعد ذلك أصبحت كالمثومة مغناطيسياً. كان خللاً، ذكياً جداً، سريع البديهة وينضح بنوع من الثقة المتغطرة بالنفس. كما أنه كان ماهراً في عمله في البورصة وأسواق المال العالمية، وقد منحه ذلك سلطة مثيرة».

ثم تنفست بعمق ورفعت نظراتها إليه وقد بانَّت في عينيها سخريته

مرة: «عشقت فيه كل شيء». سيارته السوداء المكشوفة، الشقة في حي «ميلربونيت» التي تطل على مرفأ سيدني، خزائنه المليئة بالبذلات الفخمة، غزله الرائع المصحوب بالورود وتنقلاته السريعة بين الأماكن الفخمة المترفة. لقد عشقت كل ذلك. عشقته هو. وعندما طلب مني أن أتزوجه شعرت بأنني أسعد امرأة في العالم».

وزحفت إلى صوتها خيبة الأمل وهي تضيف قائلة: «كنت أعتقد أنه يجنني. لم أشك يوماً في ذلك. قال إنه معجب بعملي المثير فهو يجعلني فتاة غير عادية في نظره. لم ينتقد قط الساعات الطويلة التي كنت أمضيها في العمل. وكان هو نفسه يمضي ساعات طويلة في عمله، ما جعلني أظن أننا متلازمان تماماً».

- كم بقيت معه؟

فهمت رأسها: «علاقتنا لم تدم طويلاً. عشرة أشهر فقط».

وسألها برقة: «ماذا حدث في الأسبوع الذي سبق زواجكما، يا آنا؟».

انفضت بأسى، ثم رفعت رأسها مصممة على أن تنتهي القصة. وبدت الكآبة في عينيها وفي صوتها: «حملت ثوب زفاني الذي صممته بنفسني لآخذه إلى البيت. بعد العمل التقيت بشقيقتي الثلاث اللواتي رافقنني إلى شقتي لنمضي السهرة معاً، ونجرب أثوابنا ونتأكد من أن كل شيء على ما يرام. كان ذلك مثيراً...».

سكنت لحظة، ثم تنفست بعمق وعادت تتابع: «عندما وصلت إلى الباب الخارجي، كانت شقيقتي خلفي تماماً. كنا جميعاً نتحدث ونضحك ببهجة بالغة. أظنتني اندفعت إلى داخل الشقة وإذا بي أرى...».

وارتجفت وقد كسا الشحوب وجهها، وهي ترغم نفسها على المتابعة: «كانا هناك... في غرفة الجلوس. متعانقين...».

- جودي وفلين.

فتمتم طوي: «قبضت عليهما بالجرم المشهود».

- لم يحاولا إنكار ذلك. ما زلت أتذكرها وهي تقول إنهما لم يستطيعا منع نفسيهما، وإنهما كانا مجنونين ببعضهما البعض فلم يستطيعا منع ذلك. كما أن فلين أخذ يلومني لأنني كنت دائماً مشغولة بعملي اللعين ذاك... بينما وقفت هناك حاملة ثوب زفاني وشقيقتي معي ينظرن. كان... كان المشهد لا يطاق. وهكذا رميت ثوب العرس على فلين وعلى جودي وهربت.

- هل لحق بك؟

- نعم، لكنني كنت قد وصلت إلى سيارتي. حاول أن يمنعي من القيادة. أظنتني كنت سأدوسه لو لم يتعد عن طريقي.

- وبعد ذلك؟

لا بد أن جودي تعمدت هذا المشهد. فقد كانت تعلم حتماً أن آنا عائدة إلى الشقة بثوب الزفاف.

- لم أر ولم أتحدث إلى أي منهما بعد ذلك.

لم يحدث أي تقارب حقيقي بينهما، كما رأى طوي. وذلك أمر خطير للغاية، فلو تحدثنا إلى بعضهما البعض، حينذاك، لما كانت الآن بهذا التوتر.

- ذهبت إلى منزل أسرتي وأخبرت والدي أن العرس قد ألغى، ثم جمعت بعض الثياب ورحلت. وفي اليوم التالي أجريت بعض الاتصالات الهاتفية لإلغاء الزفاف، وطمأنت أهلي إلى أنني بخير ثم قدمت استقالتني من العمل. وهكذا، بكل بساطة تركت الساحة خالية لجودي وفلين.

لكن الأمر لم يكن بتلك البساطة، فقد شكل لها صدمة عنيفة للغاية. الخيانة المزدوجة تركت تأثيرها في حياة آنا. لقد استعادت قواها

الآن بطريقتها الخاصة. وأعجب طوني بالطريقة التي أعادت بها بناء حياتها تدريجياً على مختلف الصعد. لكن الصفحة الجديدة البيضاء لم تكن بيضاء تماماً. كان عليها أشباح لم يواجهها أو يطردها أحد، وعلى طوني أن يهتم بالأمر.

عليه أن يعلم مدى تأثير فلين لوثيت على قلبها. والأفضل أن تواجهه الآن على أن تستمر في كبحه.

- إذا توسل فلين إليك طالباً عفوك، وتوسل أن تمنحه فرصة أخرى، هل بإمكانك أن تحببه مجدداً، يا آنا؟  
- لا.

كان جواباً حاداً مؤكداً، وقد توهجت عيناها برفض فوري لهذه الفكرة.

فقال رغبة منه في التحقق من مشاعرها: «ألا تظنين... أنه وقع في شرك نصبته له جودي؟»

- آه، أنا واثقة من أن جودي لعبت أوراقها ببراعة، لكن فلين اختار أن يجارها، ولعله تمتع أيضاً ببهجة التحدي في منزلي. لا يمكنني أن أتق بأي منهما مرة أخرى.

- إذن، فلن تقبلي أي اعتذار.

فانفجرت فيه: «وهل تقبل أنت لو كنت مكاني؟ هل تعفو وتنسى، يا طوني؟»

كان غضبها نابعاً من أعماق كبرياتها المجروحة. ولكن بإمكان الكبرياء أن تكون ستاراً لمشاعر أعمق بكثير.

- لا، لا أستطيع أن أتصور نفسي أفعل هذا. لكنني أعرف أن القلب قد يجد طريقة لقبول ما لا يمكن قبوله، خصوصاً إذا كان الطرف الظالم ماهراً في الإقناع والطرف المظلوم لا يزال ضعيفاً. الخيانة تُغفر، يا آنا،

حتى لو لم يكن بالإمكان نسيانها.

توهج وجهها جاعلاً لهب الكبرياء في عينيها شديد الاخضرار: «أظنني لا أحسن تقبل المذلة».

مذلة فوق الاحتمال.

أوما طوني وقد فهم تماماً لماذا حاولت أن تهرب من مركبه هذا الصباح كيلا يكون لها أي اتصال مع الزوجين لوثيت. ولكن مع تصرف آنا المتطرف بمحاولة الهرب، فقد الاثنان، أي فرصة لأي تقارب حقيقي معها. إنما ترك الجرح مفتوحاً ومعذباً، فأصبح، ربما بالنسبة إليهما أكثر منه بالنسبة إلى آنا، مصدر ألم وإزعاج في حياتهما الزوجية.

قد لا يكون لفلين أي فرصة للنجاح معها، لكنه من الغطرسة بحيث يجرب ذلك. وإذا كان مستعداً لإذلال نفسه بما يكفي... فهل ستتصدع كبرياء آنا؟

ما زال لدى الشائبي لوثيت ثلاثة أيام يمضيانها في بورت دوغلاس... وهذا الوقت يكفي للعثور على فرصة تكون فيها آنا وحدها، فيعالجان المسألة معها... إلا إذا توقفا عن ذلك الليلة.

- حسناً، تناولي هذا فأنا واثق من أنه أكثر حلاوة مما كنا نتحدث عنه.

قال هذا لتلطيف الجو بينما كان النادل يضع طبق السرطان على مائدتهما.

- استمتعا بطعامكما.

قال النادل هذا وهو يتركهما فأجاب طوني وهو ينظر إلى آنا مشجعاً: «سنفعل. والآن دعيني استوضح الأمر، أنت تريد أن يبتعد عنك فلين وجودي ويدعانك وشأنك. هل هذا هو موقفك يا آنا؟»

فأجابت ووجهها لا يزال متوهجاً وعيناها متألقتين: «نعم. أنظن أن

هذه حقارة مني يا طوني؟».

- لا. ولكن سيكون من الأفضل لك إذا استطعت أن تشعرني باللامبالاة نحوهما. وأرجو أن يحدث هذا في الوقت المناسب. ولكنني سأخلص منهما لأجلك، ببساطة.

- تتخلص منهما؟

فضحك لذهولها: «كانت المافيا الإيطالية تفتصب المال من كل أصحاب مزارع قصب السكر هنا، وكانت تُدعى (اليد السوداء). كانوا يقطعون آذان الناس وأيديهم...».

فتوسلت إليه مذعورة: «طوني...».

فضحك: «اطمئني. كنت أغيفك فقط، فقد ساعد جد جدي في طردهم من البلاد. كانوا هنا منذ عقود، وقد وقفت أسرتي دوماً إلى جانب من لا عون لهم يا آنا».

تلاشى توترها ورقّت عيناها: «إنها تقاليد عائلية ممتازة، يا طوني».

- تأصلت فينا منذ زمن بعيد. كان على الواحد منا أن يهتم بأبناء جنسه، حتى بإطعامهم.

فضحكت. قد يكون ضحكها نتيجة ارتياح أعصابها فقط، لكنه أعجب طوني، وخفّ الثقل الذي كان يعدّب قلبه. وهو يريد أن يسمع المزيد من ضحكاتها، يريد أن يرى وجهها يشرق له فيعلم أن ظلال الماضي قد تبددت تماماً.

وقبل أن يغادرا المطعم، ستصبح آنا أونيل له. هذا هو الدور الذي ينوي لعبه.

\*\*\*

## ١٢ - انتهى الوقت يا غبي!

استمتعت بطعامها وارتاحت كثيراً منذ أخذ طوني يضحكها بمزاحه كما أن التوتر المخيف المعتمل في صدرها خفّ هو أيضاً ووجدت نفسها راغبة في إرضائه ومشاركته سروره بالطعام الذي طلبه لكليهما. لقد بدّد اهتمامه وكلامه الهادئ الكدر الذي سببه لها حديثها عن جودي وفلين، أو لعل الكشف عن قصتها التعيسة أنزل عن كتفها كل ذلك الحمل الذي أثقل كاهلها منذ التقتهما.

ربما كان طوني على حق، فالاحتفاظ بتلك الذكريات سيؤذيها. على كل حال، سرّها الآن أن تشاطره إياها. ورغبته في مساعدتها كشفت عن قلبه الدافئ العطوف، رغم أن نيته في التخلص من فلين وجودي تحيرها. هل بإمكانه أن يضابق سائقين لكسي يخرجوا من بورت دوغلاس...؟ وما مدى نفوذ أسرة كينغ في هذه المدينة؟ من الواضح أن لها تاريخاً عريقاً هنا، وقد ألحّ طوني فحجزوا له هذه المائدة الليلية كما كان يريد بالضببط. هذا النوع من التحايل جعلها تشعر بالضيق ولكن من ناحية أخرى، لم يكن فلين وجودي منصفين معها لكي تراعيهما.

وخطر في بالها فجأة أن ما قالته جودي كان صحيحاً وهو أنهما كانا مجنونين ببعضهما البعض فلم يستطيعا ضبط نفسيهما. ألم يكن الأمر بهذا الشكل بينها وبين طوني اليوم؟ أيعقل أنه مع اقتراب موعد العرس...

نظرت إلى طوني وإذا بالمشاعر قد عادت للإشتعال على الفور .  
فقد كان حقاً رجلاً كامل الأوصاف، وسيماً، قوياً وشهماً . . .  
جذاباً جداً جداً .

انتبه لنظرتها فإذا بعينيها تبادلتها المشاعر على الفور .  
قالت بابتسامة رقيقة: «أسفة لانشغالي عن وجودنا معاً. هل لك أن  
تحدثني عن مزارع الشاي الآن؟» .

ضحك، فأخذت تفكر في مبلغ ما أسبغ عليه تألق السرور من  
وسامة. قال وعيناه تتألقان بالتوقعات السعيدة: «من الأفضل أن أريك  
إياها، يا آنا. تعالي معي بالطوافة إلى كاب تريبيولايشن صباح الإثنين.  
سنقوم بجولة معاً» .

- نظير معاً في الطوافة؟

- إنها أسرع طريقة للذهاب إلى هناك، ثم يمكننا أن نذهب يوم  
الثلاثاء إلى «إنسفيل» فترين المشهد بأكمله .

- أنا متلهفة لرؤية ذلك. ولكن هل نسيت؟ الإثنين والثلاثاء هما  
عطلتي الوحيدة وعليّ أن أبحث عن شقة، يا طوني .

فأشار بيده صارفاً النظر عن ذلك: «يمكن لهذا أن ينتظر. الشقة  
التي تسكنينها لا يحتاجها أحد حالياً» .

- ولكن . . .

- سأفهم مع أخي وجدتي. اتفقنا؟

- لا، لن أشعر بالارتياح. فذلك أشبه . . . أشبه باستغلال  
كرمكم. بإمكانك دفع نفقات مسكن خاص .

- هذا حسن. يمكنك إذن أن تعطي أليكس الأجر الذي بإمكانك  
دفعه وأنا سأشرح له أنك لم تنتقلي منها لأنني استوليت على عطلتك

الأسبوعية. ما رأيك؟

تنهدت، شاعرة بأنها مرغمة على ذلك، لكن إغراء هائلاً دفعها إلى  
أن تدعن له. كان مثيراً أن تتصور نفسها تطير مع طوني إلى أيّ مكان  
ياخذها إليه .

- هل أنت واثق من أن أسرتك لن تظن بي السوء؟

فضحك: «كل الثقة. أي اعتراض لديهما سيكون مركزاً عليّ أنا.  
جدتي ستقول . . .» .

وأشار ساخطاً وهو يقلّد صوتها: «أنطونيو دوماً . . . على عجلة من  
أمره . . . لا يستطيع أن ينتظر» .

ولم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك .

- واليكس سيقول: «الجدل مع طوني مضيعة للوقت» .

- وماذا سيقول ماتيو؟

- ها! أخي المدعي ذلك، الذي حاول أن يسرقك مني أمام عيني . . .  
سيرفع صوته مشتكياً من أنني أشغل عمداً كل أوقات فراغك حتى لا أَدع  
له أيّ فرصة معك .

- وهل هذا صحيح؟

فرفع حاجبيه: «وهل له أيّ فرصة معك؟» .

- لا .

ضحك وبان في عينيه الانتصار: «إذن، ليس هناك ما نقلق عليه  
وستأتين معي، أليس كذلك؟» .

لم تستطع مقاومة هذه الخطة فطوني قرر أن يأخذها إلى خارج المدينة  
في عطلتها قاطعاً الطريق على فلين وجودي. هذه هي طريقته لتخليصها  
منهما .

ابتسمت له شاكرة اهتمامه بها. طوني كينغ . . . إنه الأفضل بين كل  
الرجال الذين عرفتهم. وقالت بحرارة: «شكراً يا طوني» .

جاء النادل بيزيل الأطباق عن المائدة ويسألها عن التحلية التي يرغبان في تناولها، فأخذت أنا تنظر إلى قائمة الطعام. لأول مرة هذه الليلة تنظر في قائمة الطعام، لأول مرة هذه الليلة تظهر اهتماماً بما يقدم لها. وعندما اختارت ما تريد، نظرت إلى طوني لتسأله عما يجب. لكنه لم يكن ينظر إلى قائمة الطعام بل بدا اهتمامه موجهاً إلى مكان آخر. وتملكها التوتر على الفور.

كان ينظر إلى فلين وجودي. لم تكن بحاجة إلى أن تنظر لكي تعلم هذا. ملاحظته المتصلبة، وتوتر جسمه تنبئ باستعداده لمعالجة مشكلة أمامه.

- طوني؟

صدر عنها هذا التوسل وقد تملكها القلق لاحتمال مواجهتهما مرة أخرى. إنهما متزوجان. لماذا لا يكتفيان بذلك ويتركانها وشأنها؟ - آه.

والتفت إليها وقد عا التصلب عن ملاحظته بابتسامة: «هل قررت ما تريدين؟»

- اخترت السوفليه . . . .

- وأنا أيضاً.

قال هذا للنادل وهو يناوله القائمة.

ذهب النادل بينما قال طوني بابتسامة ساخرة وعيناه تلمعان بالتحدي: «سينضم إلينا أحدهم. هل أنت مستعدة، يا آنا؟»

كان في صوته شعور قوي يتطلب جواباً إيجابياً.

فأجابت بصوت مختنق: «نعم».

- أري فلين إذن أنك سعيدة! أظهري السعادة على وجهك ووافقي على كل ما أقوله.

- فلين . . . فقط؟

- لقد تركته جودي منذ دقيقتين، وكانت ساخطة للغاية، وربما تتوقع منه أن يلحق بها. ولكن ها هو ذا يتجه نحونا. أنا لا أشك في أنه يقصد مائدتنا. والآن، هاتي يدك وابتسمي.

وكان قد مَدَّ يده فأمسكتها من دون تردد لثري فلين أنها الآن على علاقة برجل آخر لا ينافسها فقط في الثقة البالغة بالنفس، بل يتفوق عليه في المزايا التي تعني لها أكثر من الأملاك والنجاح في الأسواق المالية.

كان في شخصية طوني صلابة لا يتمتع بها فلين على الإطلاق. وشعرت بالزهو لوجودها معه . . . وإذا كان ثمة إذلال في هذا اللقاء فهو حتماً لفلين وليس لها.

لن نجعله يؤثر فيها أبداً.

قالت باسمه وبعزيمة راسخة: «لن أخيب أملك بي يا طوني».

فقال محذراً: «سيكون عليك أن تنظري إليه يا آنا. عامله كأني من معارفك القدماء، هل يمكنك أن تفعلي ذلك؟»

توترت أعصابها لضغط الدور الذي يطلب منها طوني أن تمثله. وكانت عيناه تلتهبان في عينيها تطلبان موافقتها. أوامات برأسها وهي لا تعلم إن كانت ستتمكن من إظهار بعض التهذيب الاجتماعي لكنها قررت أن تبذل جهدها.

- يمكنك أن تنظري إليّ بافتتان.

قال هذا وهو يتسم ليسهل عليها الأمر.

ومع ذلك، أخذ قلبها يخفق متوتراً عندما وصل فلين بشكل عدائي، وسحب كرسيّاً من على المائدة الخالية بجانبهما ليجلس معهما.

- آسف لإزعاجكما، لكنني لن أمكث سوى بضع دقائق.

قال هذا بغطرسة، مفترضاً أن أياً منهما لن يظهر الغضب أو

أن يدخل بينهما: «إننا غير مهتمين بمشاعرك، غير مهتمين بمشاكلك الزوجية. إننا هنا نخطط لمستقبل يجمعنا. أليس كذلك يا آنا؟»  
واعترض يدها مرة أخرى فسارعت نجيب باسمه: «نعم. نحن كذلك».

بادلته ابتسامته المفتونة دون صعوبة على الإطلاق.  
- آنا...

كانت هذه صرخة تعبر عن سخط فلين البالغ لهذا الوضع، فقالت حاملة وهي تنظر في عيني طوني: «ابتعد عنا، يا فلين. لقد انتهى وقتك منذ زمن طويل».

وهذه كانت الحقيقة بعينها! وشعرت براحة كبرى وهي تقول هذا دون أدنى شعور بالألم.

- نعم، ابتعد عنا يا فلين. من الواضح أن لا مكان لك بيننا.

قال طوني هذا ونظراته مشتبكة بنظرات آنا وهو يرفع يدها إلى شفثيه: «أتريدين الخاتم من الزمرد الأخضر ليمائل لون عينيك يا حبيبتي؟»

- ستضيعين حياتك سدى في هذه المدينة الريفية السخيفة، يا آنا.  
قال فلين هذا ساخراً وهو يهتّب واقفاً.

تجاهلته. في الواقع، شعرت بسرور بالغ وهي تتجاهله. إنه يستحق ذلك لمحاولته، بكل قلة أدب، أن ينافس طوني الذي يساوي عشرة منه. وكما أن فلين لم يكن حتى من طبقة طوني كينغ. وأخيراً، أعاد كرسيه محبطاً إلى حيث كانت، ثم ابتعد بخطوات واسعة.

- إذا كان ذاك الوغد قد أهداك زمردة، فعلياً أن أشتري لك شيئاً آخر.

قال لها طوني ذلك بلهجة هي بين الجد والهزل.

الاعتراض أمام الناس ويطرده بعد أن يجلس.

فقال طوني بخشونة: «حضورك غير مستحب، يا فلين، فهذه ليلة استثنائية بالنسبة إلينا وأنت تتطفل علينا».

- أنا واثق من أنك تشعر بأن أي ليلة مع آنا هي ليلة استثنائية، يا طوني. فأنا أشعر بهذا بكل تأكيد.

ادّعى هذا بلهجة جعلتها تنتصب في جلستها بسرعة لتواجهه رافعة حاجبها بدهشة.

- ألا تظن أن هذا السلوك منحرف نوعاً ما، يا فلين؟

اشتبكت نظراته بنظراتها، وعيناه البنيتان اللامعتان شاخصتان إلى عينيها: «دمرت نفسي بسببك وما زلت نادماً منذ ذلك الحين. أنت، بالنسبة إلي، كنت وستكونين على الدوام استثنائية، يا آنا. وأنا أريدك أن تعلمي ذلك».

- أنت تضيع وقتك بهذا الندم يا فلين. فأنت متزوج من جودي...  
- ستتطلق...

- وأنا ستزوجني.

أعلن طوني ذلك مشتتاً بذلك ما أعلنه فلين.  
وهتف فلين: «ماذا؟»

كادت آنا تصرخ هي أيضاً. وأخذت يدها ترنحف مجفلة لما سمعت، فشدّد قبضته عليها بسرعة، يعصرها محذراً من أن تظهر أي اضطراب. وعاد يعلن: «إنها المرأة التي أحبها وسأحبها إلى يوم مماتي. والمعجزة هي أنها أحببتني بقدر ما أحببتها».

كانت نبرة صوته ونظراته مقنعتين إلى حد تملكتهما معه قشعريرة.

- يمكنك إذاً يا فلين، أن ترى أن لا أمل لك هنا.

استمر في كلامه غير عابئ حتى بالقاء نظرة على الرجل الذي حاول

- لا . كانت ماسة . الزمردة ستكون منك فقط .  
أصبحت عيناه جادتين للغاية : «لقد تخلصت منه تماماً ، يا آنا» .  
- أعلم هذا . وأشكرك جداً لعونك لي . لا أدري كيف خطر ببالك  
أن التحدث عن الزواج سريع التأثير إلى هذا الحد . كانت طريقة فعالة  
حتماً .

وهزت رأسها بإعجاب : «كدت أموت» .  
- لكنك نجوت بشكل رائع .  
- أنت سهلت الأمور علي .  
- كان ذلك سهلاً .

وراح ينظر إليها متأملاً : «وماذا يعني هذا بالنسبة إلينا ، يا آنا؟» .  
خفق قلبها . لا يعقل أن يعني . . . لم يكن يفكر حقاً في الزواج . لم  
تشأ الاسترسال في أحلامها والتسرع في فهم الأمور . فبعد أن وثقت بفلين  
إلى ذلك الحد . . . من الخطأ أن تسير وراء الأوهام . . . على الرغم من أن  
طوني مختلف .

- أظن أن هناك لحظات تكون فيها مناسبين تماماً لبعضنا البعض .  
أوما وقد بدا عليه أنه يجمل رذها المنمق .

وإذ شعرت أنها لم تفه حقه أضافت بحرارة : «كما أنني أجدك رائعاً  
ل للغاية ، يا طوني كينغ» .

فقال بركة : «أظنك أنت أيضاً رائعة للغاية ، يا آنا أونيل . هل  
بإمكاني أن أعتبر أن الماضي ولى ، وأن المستقبل لنا؟» .

فقالت بمرح : «نعم . . . إذا كان هذا يعني أنه ما زال بإمكانني أن  
أطير معك بالطوافة» .

ضحك وقبل يدها مرة أخرى : «هذا مؤكد . وأتصور أن بإمكاننا أن  
نقوم برحلات كثيرة معاً» .

تتهددت بسعادة . لقد كفت منذ زمن بعيد عن التخطيط بعيد المدى  
خوفاً من أن تفسد تلك المخططات وتضيع . فالأفضل إذن أن تأخذ الحياة  
كما هي ، وتتقبل ما تحمله من أفراس .  
\* \* \*



## ١٣ - حيلة ساحر

كان خاتم الزمرد في جيب طوني يحرقه فهو يريد في إصبع أنا. ولكن السؤال الكبير هو هل ستقبله أنا؟ إذ أنها لم تؤكد له شيئاً. ومع ذلك كانت سعيدة معه. كان واثقاً من أنها تحبه، ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك. فبعد تخلصه من فلين لوثيت، أمضيا كل أوقات فراغهما معاً، وكل دقيقة منها كانت تثبت أن أنا أونيل له وليست لأحد سواه.

وكان هو مناسباً لها، وهو يعلم ذلك في أعماقه. لكنه كان يشعر بإحباط كبير كلما رآها تتجنب الحديث عن الزواج. وكأنما تريد أن تبقى حرة، طليقة... فراشة...

كانت الهواجس قد بدأت تتنابه بسبب وشم الفراشة الذي تضعه، فلعله يرمز إلى موقف أنا من الحياة، فهي تستمتع فترة من الزمن، ثم تنتقل بسرعة إلى مكان آخر. أترأه، ببساطة، مجرد جزء من إقامتها المؤقتة في بورت دوغلاس؟ عندما يصلان إلى نهاية فصل السياحة، أترأه ستودعه ببساطة وترحل؟

أصبح لديها شقتها الخاصة الآن وكانت حذرة دوماً من أن تستغل علاقتهما المميزة على المركب. الطاهية هي الطاهية، وهكذا كانت تقوم

بعملها ببساطة وكان الملاحون والركاب يتجاوبون معها على الدوام. ولكن، أترأه راضية حقاً؟ هذا العمل لا يتطلب المهارات التي تمتلكها. وبما أن هذا الجزء من شمال كوينزلاند سيبقى دوماً موطنه وبيته، فقد تصبح بورت دوغلاس في نظرها مدينة ريفية ونحن إلى العيش في مدينة كبرى عصرية.

أراد أن يعطيها الخاتم، وأرادها أن ترغب في ما يرمز إليه هذا الخاتم، وشعر بفروغ الصبر وهو يستقر بالطوافة على أرض القصر. كان ضغط العمل قد أرغمه على البقاء في «إنسفايل» الليلة الماضية لكن اليوم هو السبت، وأمامه عطلة الأسبوع كلها ليمضيها مع أنا، وهو وقت يكفي لكي يهديء فيه شكوكه.

سيعرض عليها الزواج. فما الفائدة من الانتظار أكثر؟ كانت الرغبة في معرفة منزلته في قلب أنا تتأكله.

قاد سيارته إلى حوض السفن بعزيمة بالغة. كان مركب الدوقة محجوزاً اليوم لإقامة حفلة لأربعة وعشرين راكباً فقط، لذا قد يتمكن من تخصيص بعض الوقت لأنا عند الشعاب الصخرية حيث يجبرها على التكلم بصراحة.

\*\*\*

- وكيف تسير الأمور مع طوني؟

نظرت أنا إلى ميغان مجفلة. كانتا تضعان السلطة في مطبخ المركب فأدهشها مثل هذا السؤال الشخصي.

وضحكت ميغان: «كلنا نعلم، يا أنا. لا يمكنك أن تخفي الشرارات التي تسري بينكما لمجرد أنك لا تتحدثين عن ذلك بصراحة. إننا نراهن على أن طوني قد وقع هذه المرة».

- وقع؟

- نعم . وحيث أنك تتألقين كلما كان هنا . . .  
- أنا؟

- إنه الحب .

فقلت أنا مازحة : «حسناً، ما دمت أنت خبيرة، هل هذا النوع من الحب يدوم فترة أم أنه من النوع الذي يدوم إلى الأبد؟» .

- اتعنين . . . إن كان من المحتمل أن يتزوجك؟

فتنهدت أنا : «ليس المهم الزواج، في الواقع . فقد أصبح الطلاق شائعاً جداً هذه الأيام» .

فزواج فلين وجودي لم يدم سوى سنتين، كما أن فلين خانها قبل أن تمضي عشرة أشهر على علاقتها .

فقلت ميغان بجد : «حسناً، يمكنني أن أخبرك بشيء واحد . عندما تلتزم أسرة كينغ بشيء، فالتزامها بقوة الصخر شرط أن تفي أنت بالتزامك . وهم معروفون بذلك . وإذا انهارت أي من اتفاقياتهم، فكوني واثقة تماماً من أن اللوم في ذلك يقع على الطرف الآخر . إذا طلب طوني كينغ منك الزواج، فهو يعني أنه سيجعل ذلك الزواج ناجحاً، وأنا واثقة من أنك إذا كنت تفكرين في الطلاق فهذا لن يعجبه أبداً» .

- وما أدراك بذلك يا ميغان؟

- لقد عشت هنا طوال حياتي . أسرة كينغ معروفة في كل الشمال . وهي أسرة عريقة، أتعرفين هذا؟ هناك قصص كثيرة جداً عن حفظ أفراد تلك الأسرة لعهودهم، وعدالتهم . هكذا هم . والجميع يعرف ذلك .

صحيح أن طوني لم يجيب أملها بعد، لكن الوقت ما زال مبكراً للحكم . المشكلة أن كل ما تعيشه أجمل من يكون حقيقياً . رؤيتها له فقط تجعلها تهتز فرحاً . . . لكن الفرح استحال إلى كآبة . . . في الماضي .

- صباح الخير .

استدارت الاثنتان لتواجهها طوني الذي دخل لتوه إلى الصالون فتسارعت خفقات قلب آنا .

أجابت ميغان : «صباح الخير» .

وتمتمت آنا بصوت خافت وهي تبسم : «مرحباً» .

ابتسامته، كالعادة، أظهرت وسامته البالغة، ومرة أخرى، لم تستطع آنا أن تصدق الحظ الذي جمعها وجذبها الواحد إلى الآخر .

قال لهما : «أصبح أصحاب الحفلة على رصيف الميناء الآن . لقد نسيت اسم العائلة» .

فأجابت آنا : «أندرسن» .

- ما نوع الاحتفال؟ عيد ميلاد؟ زواج؟

- اجتماع شمل عائلي .

- لا بد أنهم سعداء إذن لمجرد التحدث مع بعضهم البعض .

قال هذا بشعور من الرضى وعيناه تنطقان بنية خاصة تتضمن آنا دون شك .

اتجه طوني إلى مركزه المعتاد لتحية الركاب القادمين الذين كان فريق الغوص يدعوهم إلى الصالون لتناول القهوة أو الشاي .

أسرعت آنا بأخذ كويين من القهوة، جاهزة لتلبية الطلبات . وسمعت طوني يقول : «آه، السيد والسيدة أندرسن . أهلاً بكما على متن

الدوقة . أنا طوني كينغ . . .» .

- إذن، أنت طوني كينغ!

تعرفت على الصوت على الفور، وكاد يغمى عليها . من حسن الحظ أنها وضعت الكويين جانباً، وإلا لوقعا من يدها . حدقت غير مصدقة إلى

والديها اللذين كانا يتأملان طوني من رأسه إلى أخمص قدميه وكانهما يفحصان كل جزء من مظهره وسلوكه .

- نعم، أنا هو.

أجاب طوني بذلك وقد بدت عليه الحيرة بعض الشيء.

- الرجل الذي سيتزوج ابنتي؟

تابع أبوها بصوته الهادر فهتفت ميجان: «ماذا؟».

ثم فقدت آنا القدرة على الكلام.

- عفواً؟ لم أسمع.

قال طوني هذا مقطباً جبينه وهو يواجه هذا المدعي.

فقال أبوها مصححاً: «شهري ليست أندرسن بل أونيل، كونور

أونيل. محاسبي هو الذي استأجر المركب بهذا الاسم».

فردد طوني مذهولاً: «أونيل؟».

- نعم. والد آنا، وهذه أمها مورين. ثم هل لي أن أقول هنا،

والآن، إننا لن نسمح لك بأن تتزوج ابنتنا من دون حضور كامل أفراد

أسرتها؟ لقد جئنا لتعلمك بذلك. هل لي أن أصفحك على هذا العهد يا

طوني كينغ؟

ومدّ يده لطوني الذي هزها مصافحاً ثم ألقى نظرة ثابتة على آنا محملة

بأسئلة لم تستطع الإجابة عنها. كانت لا تزال معقودة اللسان. لم تستطع

أن تفهم كيف عرف والداها وأسرتهما بخبر الزواج هذا. فهي لم تذكر حتى

اسم طوني في رسائلها، ولا كلمة عن علاقتهما.

توهج وجهها ارتباكاً سيظن الآن أنها أخبرت والديها بأنها تفكر في

الزواج منه. ويبدو أنه قرر أن الطريقة الوحيدة لإنقاذ الموقف هي أن يوفر

عليها وعلى أسرتها ارتباكاً بالغاً، فأمسك بيد أبيها بقوة، ثم قال ما أراد

أبوها أن يسمع: «وهل لي أن أقول إنني مسرور جداً بلقائك ولقاء السيدة

أونيل؟ إنني متشوق إلى التعرف على بقية أفراد أسرة آنا».

ديبلوماسية بالغة. ولم تعرف آنا ما إذا كان عليها أن تقدر له ذلك أم

لا. ألا تشكل هذه غلطة فظيمة يجب أن تُصحح؟

عندئذٍ، أمسكت أمها يده بكلتي يديها وهي تلخ عليه قائلة بلهفة:

«إياك أن تدع آنا تقنعك بعقد زواج مدني سريع، يا طوني. هل يمكنك أن

أدعوك طوني؟».

- طبعاً.

- كان علينا أن نصل في الوقت المناسب لكي نمنع ذلك. الحمد لله آنا

تمكنا من تدبر هذه الرحلة قبل نهاية الشهر!

هل كانا يظنان أنها ستتزوج طوني بعد شهر فقط من معرفتها به؟

وتابعت أمها قائلة: «لا يمكن الزواج قبل مضي شهر كامل من دون

الحصول على رخصة خاصة. وكان هذا ما يقلقنا، لأننا نعرف مهارة آنا

في تنظيم الأمور، لكنني كنت أرجو...».

- يا سيدة أونيل...

فأجابت وهي تربت على يده: «يمكنك أن تناديني مورين».

فتحت آنا فمها لتشرح لهما أن هذا الوضع نتيجة حيلة من طوني

ليتخلص من فلين. وقبل أن تستطيع إيجاد الكلمات المناسبة، إذا به يعقد

المشكلة.

- مورين، أؤكد لك أننا سنحظى بعرس حقيقي تحضره الأسرة

كلها، فجدتي ستكفني إذا فعلت غير ذلك.

اختلفت آنا: لقد تمادى في ديبلوماسيته وجعل والديها يعتقدان أنه

سيكون هناك زفاف. عليها أن تمنع ذلك. ولكن كيف تفعل ذلك من

دون أن تجعل طوني يشعر بأنه كان أحق لأنه خفّ إلى نجدتها بهذه الشهامة

أمام أسرتها؟

لكنها فكرت في أن الأعراس قابلة للإلغاء. ومن يعرف ذلك أكثر

منها؟

وتابع طوني كلامه بظرف بالغ وهو يتساءل على الأرجح إلى متى سيبقى على ادعائه: «كم من الوقت ستمكثون في بورت دوغلاس؟ فجدتي ستحب كثيراً التعرف إليكم».

لا، لا، لا... ربما ستظن جدته أن هذا صحيح. عليهما أن يجتئا من الضرر لا أن ينشراه.

- العطلة الأسبوعية فقط.

أجاب أبوها بذلك فشعرت أنا بالارتياح، فهي وطوني يعملان يوم الأحد، وبهذا...

- في هذه الحالة، علينا أن ننظم أمورنا لكي نكون، أنا وأنا معكم. قال طوني هذا وأفسد كل شيء مرة أخرى.

ابتسمت أمها له: «سيكون هذا رائعاً. يمكنك أن أرى لماذا أنا...».

لم تعد أنا تستطيع الصبر: «أمي! وأنت أيضاً يا أبي!».

حوّل هذا انتباههما من طوني إلى أنا.

- ما الذي فعلتماه بجزر الأسرة كلها إلى هنا متوقعين...

فقاطعها أبوها: «يقول المثل، من لا يأتي اليك، إذهب أنت إليه».

وقالت أمها بسرعة: «أنا، لقد انتظرنا وانتظرنا أن نخبرنا عن طوني بنفسك، وعندما لم تفعل...».

فقلت بعنف: «لي الحق في أن أنصرف بحياتي كما أشاء».

- هذا يكفي الآن، يا فتاة.

قال أبوها هذا وهو يسير إليها ليوبخها. كان رجلاً ضخماً عريض الصدر اعتاد أن يخمد أي معارضة بطريقة الهجوم المباشر، وهز إصبعه في وجهها.

- لقد احترمنا حاجتك إلى الرحيل من مكان إلى آخر لتجدي لنفسك

طريقاً جديداً بصرف النظر عن قلق أمك عليك. لقد هجرت أسرته سنتين... سنتين!

فردت بعنف وهي تنظر إليه متحدية: «لقد بقيت على اتصال بكما، كنتما دوماً تعرفان أين أعيش وماذا أفعل».

فقال متهكماً: «وصف تافه للرحلات».

فصرخت أمها فيه: «كفى سخرية يا كونور».

ووقفت بجانبه بجسمها النحيل وشعرها الأبيض الذي يحيط بوجهه يفيض عطفاً: «نحن هنا لنعيد المياه إلى مجاريها. لا تنس هذا!».

خلفهما، كان أخوة أنا يتعرفون إلى طوني، تتبعهم عائلاتهم، وقد تصاعد ضجيجهم وجلبتهم وهم يدلون بتعليقات سعيدة عن الزواج المنتظر. المشهد كله كان خارجاً عن السيطرة.

وكانت أمها تقول ضارعة: «أرجوك يا أنا، لا تغضبي منا».

فقال أبوها على الفور: «ما من سبب يجعلها تغضب يا مورين».

فقلت أنا بعجز: «أنا لست غاضبة... مدهوشة فقط».

فقلت الأم: «طبعاً. هذا ما أردناه. مفاجأة جميلة».

أربع وعشرون شخصاً من أسرة أونيل انقضوا عليها، ولا بد أن طوني في مأزق لا يعرف كيف يخرج منه، على الرغم من أنه يتظاهر بالعكس. عليه أن يدرك أن الذنب ذنبه، إذ استعمل كذبة عزمها على الزواج لكي ينسف محاولة فلين المتغترسة للثروة معها مرة أخرى.

قالت أمها بإعجاب: «إنه رجل ممتاز يا أنا».

وقال أبوها بهدف إصلاح ما حدث من جفاء بينهما: «أعجبني أكثر بكثير من فلين».

فقلت الأم: «لا تأت على ذكر فلين يا كونور».

- ولم لا؟ إنه السبب. وها هي ذي متوترة بحيث لا تريد أن نخبرنا أي

شيء خوفاً من أن يفشل زواجها أيضاً هذه المرة.  
- هذا ليس صحيحاً يا أبي.

أخذت نفساً عميقاً، وقد ازداد شعورها بالذنب لترك هذا الخداع يستمر. لقد خرجت الأمور عن حدها وعلى أسرتها أن تفهم ببساطة أن تلك الأقاويل قد عُرسَت عمداً في ذهن شخص ما كان يُفترض أن تتخلص منه. وهذا ذكراً... فسألت: «من أخبركم عن هذا؟».

عبست أمها معتذرة وهي تجيب: «صادفت أختك تريش جودي لوثيت في عرض للأزياء منذ ثلاثة أسابيع. أدلت جودي ببعض التعليقات الخبيثة عنك وعن طوني كينغ ولم تنزحزح أختك من مكانها قبل أن توضح جودي ما تريد قوله...».

إحمر وجه أنا وهي تتذكر أن جودي رأت طوني يدخل الشقة معها، كما شاهدتهما في المطعم وحدهما. ولا شك أن جودي أعطت صورة مبالغة وأن تريش، في لهفتها لرؤية أختها مع خطيب جديد، أسهبت في اطلاع بقية أفراد الأسرة على هذا الخبر مع التفاصيل المملة.

لم يرَ طوني قط مثل تماسك أفراد أسرة أونيل وكان هذا أحد الأسباب التي جعلت أنا تهرب منذ سنتين. لم تستطع أن تحتل تعاطفهم المدمر واهتمامهم فهم يفتحون جراحها بذكرهم ما حدث ظناً منهم أنهم يخففون عنها.

ثم سألتها أبوها: «إذاً، متى تنويان الزواج أنت وطوني؟».

تنهدت ثم تماكنت نفسها لكي تبوح بالحقيقة: «أبي... نحن حتى...».

- الخاتم!

هتفت تريش بحماسة وهي تندفع إلى الأمام، وقد نسيت تماماً مشيتها الرشيق التي اعتادتها على منصة عرض الأزياء بصفتها عارضة من

الدرجة الأولى.

- أرنا الخاتم يا آنا.

كانت هذه القشة التي قصمت ظهر البعير فحملت آنا في أختها الصغرى وفتحت فمها وابتدأت تقول: «لم أحصل...».

- هي لا تضعه في إصبعها.

أسكتها طوني بصوته المرتفع هذا وشق جموع أسرة أونيل متقدماً نحوها وفي عينيه نظرة أمرة، ما زاد في اضطرابها. لم نشأ أن نحيب أمله، ولكن ألا يمكنه أن يرى أن هذا الأمر بدأ يخرج عن السيطرة؟

- آنا لا تحب أن تلبس الخاتم أثناء تحضير الطعام وطهي السمك.

كل هذا معقول، تماماً. وكان قلب آنا يفوص لإصراره على هذه القصة.

- لذا أبقيه لها في جيبي.

تحولت العين إليه وهو يخرج علبة مجوهرات صغيرة من جيبيه.

لم تستطع آنا أن تصدق ذلك فقد بدا لها أشبه بحيل السحرة. أفسح والداها له الطريق لكي يوافي آنا.

- هات يدك يا آنا.

فعلت ذلك وقد بدا لها أن يدها تحركت من تلقاء نفسها. فتحت طوني العلبة، ثم وضع الخاتم ذا الزمردة الرائعة في إصبعها. وغمزتها الزمردة الخضراء وكأنها تقول لها: ها أنذا هنا، كما وعدت، كل شيء لك.

وتمتت ميان بمكر: «انكشف السر الآن».

وراح الجميع يتأوه إعجاباً بالخاتم الذي وضعه طوني في إصبعها. كان هذا خاتماً حقيقياً. ولو أنكرت الأمر، لظنها الجميع مجنونة، غير مدركين أن طوني قضى على حقها في الاختيار.

ارتجف قلبها لجرأته ووقاحته. لا بد أنه اشترى هذا الخاتم من

أجلها، ناوياً طلب يدها للزواج . كيف أمكنه أن يقرر بهذه السرعة؟  
تملكها الذعر .

كان الأمر سريعاً للغاية .  
سريعاً أكثر مما يجب بكثير .  
- استعده يا طوني .

ازدادت ذعراً . أتريده حقاً أن يفعل ذلك؟ وأضافت بسرعة:  
«احتفظ به لما بعد» .

فيما بعد، عندما يصبحان بمفردهما . . . عندما يصبح مستشفى  
المجانين هذا خلفهما، ويكون لديها وقت للتفكير . كل ما تعرفه الآن هو  
أنه يستحيل عليها أن ترفض أمام الناس .  
\* \* \*

## ١٤ - وعد الحرية

أخيراً، أصبحتا بمفردهما في السيارة مبتعدين عن حوض السفن،  
وعن أفراد أسرتها المتطفلين الذين توجهوا إلى فندقهم، وعن زملائها  
الملاحين وابتساماتهم العريضة .  
لم تعلم أنا ما هو الصحيح .

كل ما شعرت به هو ارتياح بالغ لأن وابل الملاحظات والنصائح قد  
انتهى، ولم يعد عليها أن تبتمس الآن . كان رأسها يؤلمها وكذلك قلبها لأنه  
كان ممزقاً بين الخوف من القبول والخوف من الرفض .  
سألها بهدوء: «هل توترك العصبي هذا بسبب أسرتك أم بسببي أنا،  
يا آنا؟» .

فأجابت وهي تتنهد: «بسبب الاثنين» .  
مدّ يده يمسك يدها برقة: «لم أخطط لهذا، رغم أنني كنت أنوي أن  
أعرض عليك الزواج الليلة» .

- أنا أدرك أن أسرتي زادت حماسك ظناً منك أن الأمر بيننا قد سبق  
وتقرر . ولكن . . . لم نتخذ قرارنا بعد يا طوني، ثم . . .  
وهزت رأسها وقد وجدت صعوبة في أن تصف شعورها .  
- هل الأمر سيء إلى هذا الحد، يا آنا؟ لو كنا وحدنا هل كنت  
لتختاري العكس؟

- لا أدري . لم تمنحني الفرصة لأفكر . . . لأتحدث . . . عن ذلك .  
- إذن ، أظن أنّ علينا أن نتحدث عن ذلك الآن .

واعترض يدها مرة أخرى قبل أن يتركها ليوقف السيارة أمام شقتها .  
في الواقع ، هدوؤه زادها قلقاً ، وعندما ترجل من السيارة ، بقيت هي  
مكانها .

جلست تمدق إلى المبنى الأبيض حيث كانت عادة تشعر بالراحة .  
فلماذا تشعر الآن بأن طوني ينتهك خصوصيتها هذه؟ كان قلبها يخفق  
بعنف منعها من التفكير .

فتح لها باب السيارة ولكنها بقيت مسرّة مكانها ، وقد شلّها  
اضطراب لم تعرف سببه . شكوك عنيفة أخذت تدور في ذهنها وهي تمدق  
إليه . هل هو الشخص المناسب لها؟ هل سيحبها إلى مماتها دون أن ينظر  
إلى امرأة أخرى؟ وهل هذا حلم مستحيل؟ تقدم طوني إلى الأمام  
وساعدها على النهوض ثم سار بها إلى باب شقتها ، مسقطاً أي قرار من  
بين يديها . . . مرة أخرى .

- لماذا تفعل هذا؟

كان سؤالها ضراعة منها أكثر منه احتجاجاً ، وقد التفت ذراعها ،  
دون وعي منها ، حول رقبتها .

وأجابها بصوت أجش : «تبدين ضعيفة للغاية» .

وهذا ما كانت تشعر به ، وكان سهلاً جداً أن تسند رأسها إلى كتفه  
الجميل العريض وتغمض عينيها وتنسى ذلك النهار المخيف المشحون ،  
وتستنشق فقط رائحة رجولته المريحة ، وتشعر بذراعيه القويتين تسندانها ،  
ويخفق قلبه المنتظمة في صدره الدافئ .

فتح الباب من دون أن يزيح ذراعه عن خصرها وأحنى رأسه على  
رأسها قائلاً بخفة :

- آسف لأن هذا النهار كان شاقاً عليك .  
- لا بأس .

تمتت بذلك وهي تتنحى ليدخل ، فهي كانت تريده وتحتاجه .  
أغلق الباب وراح يعانقها ، والتهمت عيناه في عينيها وهو يقول ما لم  
يقله من قبل : «أنا أحبك يا أنا ، ويجب أن تعلمي ذلك» .

انقبض قلبها ، لماذا آلمتها هذه الكلمات إلى هذا الحد؟ ما كان ينبغي  
أن تؤلمها ، بل أن تملأها بالفرح والسعادة . ومع ذلك ، كانت ظلال الألم  
والخيانة تملأ ذهنها .

قالت ضارعة : «ضميني بقوة يا طوني» .

ضمها بمعاطفة محمومة أشعلت النيران في عروقها وانعشت كل خلية  
في جسدها .

وفك ضفيرة شعرها ثم أخذ يداعبه ، بحرارة وحب . ما كان أحلى  
هذا الشعور بالراحة والحنان .

تمتم : «أنا أعشق نعومة شعرك الحريرية وأحب أن أدفن وجهي فيه ،  
وأستنشق عطره» .

فهمست : «وأنا أعشق كل شيء فيك» .

غاصت عيناه في عينيها وكأنهما نبع عجب لا يزول : «أنت رائعة ، يا  
أنا . كل ما فيك رائع وأنا أعشق النظر إليك ، ولمسك . . .» .

- وأنا أشعر نحوك بالشيء نفسه . أنا أراك كاملاً تماماً .

اعترفت له بذلك بلهفة بينما كانت نبضات قلبها تتسارع .

كان يسعددها دوماً أن تكون معه وتستمتع بعناقه .

تمتم وهو يداعب شعرها : «تزوجيني يا أنا» .

أرادت أن توافق ، ولكن لم يمر سوى شهر واحد على علاقتهما . لعل  
الأمر رائع بهذا الشكل لأنه ما زال جديداً . وقالت بضراعة : «ألا يمكننا

أن تنتظر فترة يا طوني؟ فتأكد من أن حبنا سيدوم؟»

أخذ صدره يعلو ويهبط، فأجست بأنه يحاول أن يتمالك نفسه لكي يناقشها. ومع ذلك، عندما تكلم، تكلم بهدوء تام: «لماذا تظنين أنه قد لا يدوم، يا آنا؟»

كانت الاجابة صعبة. كيف يمكنها أن تقول إنها لا تثق به؟ هذا ليس صحيحاً، فهي تثق بطوني. لم يمنحها قط سبباً لعدم الثقة به.

وعندما طال صمتها، سألتها: «هل تخافين من الأيدوم شعوري... أو شعورك؟»

- لم... لم يكن لدينا وقت للاختبار... مشاعرنا...

قالت هذا، محاولة ألا تجعل كلماتها مؤذية.

- آنا، أنا في الثانية والثلاثين من عمري. وقد عرفت نساء كثيرات... نساء جيلات أحببتهن كثيراً واستمتعت بصحبتهن. ولكن طوال ذلك الوقت لم أشعر يوماً بأن إحداهن هي المرأة التي أريد أن أشاركها الحياة، إلى أن عرفتك. يمكنني أن أخبرك من دون تردد... أن مشاعري نحوك لن تتغير.

هل هذا صحيح؟ هل يمكنها أن تصدق ذلك؟

كانت في الواقع خائفة من النظر في عينيه، ومع ذلك كانت عيناه رقيقتين. وإذا بموجة كاسحة من الارتفاع تبدد ذعرها. ابتسم، فامتلاً قلبها حباً له.

- لقد أذهلتني في أول يوم تعارفنا فيه، يا آنا أونيل. وفي لقائنا الثاني بالذات، قلت لنفسني إن هذه المرأة لي. ومنذ ذلك الحين، كل ما حدث بيننا كان يثبت شعوري ذاك مرة أخرى. هل كثير علي أن أطلب منك أن تلبسي خاتمي؟ بإمكانك أن تعيديه إلي إذا رأيت أنني لست مناسباً لك، يا آنا.

استحالت ابتسامته إلى توسل: «لا يمكنني أن أرغمك على الزواج

مني، كما تعلمين. الخيار هو لك حتماً».

طوني... زوجها... شريكها في الحياة... الذي يحبها دوماً... سيج هذا الحلم أمام عينيها.

- دعيني أعيد الخاتم إلى إصبعك كوعد مني. إنه لن يقيدك. إنه، ببساطة يعبر لك عن حبي ويذكرك بأنني أريد الزواج منك. وفي كل مرة تنظرين إليه، تفكرين بذلك.

وبسرعة، مَدَّ يده إلى جيبه ليسحب الخاتم بينما كانت هي ضائعة تماماً.

هل عليها أن تلبس خاتمته؟ يفترض بهما أن يتناولوا العشاء مع أسرتهما الليلة، والجميع يتوقع رؤية الخاتم في إصبعها. فإذا لم يكن موجوداً، كيف ستفسر الأمر؟ ولكن إذا كان موجوداً... فهم سيتوقعون أكثر من ذلك، وأكثر...

أمسك بيدها ووضع الخاتم في إصبعها، ثم قال بانتصار: «إنه يلائم إصبعك تماماً».

أخذت تحديق إلى الخاتم الذي كان يثير في نفسها صراعاً لا ينتهي. إذا وافقت طوني على خطته فستكون هناك عواقب.

رغم كل رغبتها في إرضائه إلا أن وضع خاتمته سيبدأ سلسلة من الأحداث لم تكن مستعدة لمواجهةها.

رفعت عينيها إليه بشيء من اليأس.

- إذا لبست هذا الخاتم فسيوقع الجميع مني أن أبدأ التخطيط للزفاف. وأنا لن أفعل هذا، يا طوني.

وارتحفت لقسوة شعورها بالتمزق.

قطب جبينه، وعيناه تتفحصان عينيها بحدّة: «هل تعنين... أنك



لا تريدن أن تلبسي خاتمي . . . أم أنك لا تريدن الاشتراك في التخطيط للزفاف؟»

- سيدأون ذلك الليلة، وستشرك أنت جدتك غداً. جميعهم سينتظرون مني أن أقوم بشيء . . .

ضاق صدرها لمجرد التفكير في هذا، ولأن طوبى لن يفهمها. على كل حال، أليس حلم كل امرأة أن تخطط لزفافها؟ باستثناء أن العمل لتحقيق ذلك اليوم الرائع قد استحال هاجساً بالنسبة لها . . .

فالعروس تكون مشغولة جداً إلى حد أن العريس يحظى بالوقت الكافي لينظر إلى مكان آخر ويبحث عن امرأة أخرى يمكنها إشباع رغباته بشكل أفضل.

- لن أفعل هذا.

هزت رأسها، شاعرة بالرغبة في التحرر والبقاء طليقة. توسلت عينها إليه أن يفهم وهي تحاول أن توضح: «الزواج يتطلب الكثير. إنه . . . إنه يدمر الحب بدلاً من أن يفسح له المجال لينمو قوياً متيناً. سأقع في فخه لأن هذه هي وظيفة العروس وليس العريس. ولن أكون موجودة حين تريدني . . .»

- أنت تظنيني سأفعل كما فعل فلين.

واتهمتها عيناه بسوء الحكم عليه.

فقالت بحدة: «نحن معاً منذ أقل من شهر واحد يا طوبى. لقد اشتريت لي خاتماً حين كان كل شيء بيننا مشتعلاً . . . حين لم يكن هناك ما يعيقنا . . .»

- أنتظنين أن حبي سيخمد؟

- لا أدري. كل ما أعرفه هو أننا تعارفنا منذ شهر واحد. وأنا لن أدع أحداً يدفعني إلى التخطيط للزفاف يضطرنني في النهاية إلى إلغائه.

- ماذا لو بقي الحب مشتعلاً بيننا بعد ستة أشهر، يا آنا؟ هل ستتزوجيني حينذاك؟

تنفست بعمق، محاولة تهدئة نفسها لكي تستطيع التفكير.

قالت: «نعم، سأشعر بثقة أكبر إذا استمر إحساسنا على حاله ستة أشهر».

- لا بأس. هل لك أن تعقدي معي صفقة على هذا الأساس؟

- أي صفقة؟

- ستلبسين خاتمي الذي يمكنك أن تعيديه إليّ في أي وقت أثناء الأشهر الخمسة القادمة إذا لم تشعرني بأن زواجنا سيكون ناجحاً. وفي نهاية تلك الأشهر الخمسة، إذا كنت مازلت تلبسين خاتمي، فستصبحين عروسي بعد العرس الذي سأنظمه أنا.

- أنت . . . تنظم؟

وتملكها الدهول.

- سأقوم بالترتيبات كلها. سأشتريني ما يفترض شراؤه، وأستأجر ما يفترض استئجاره وأحجز ما يفترض حجزه. كل ما سيكون عليك فعله هو الحضور إلى الكنيسة في الوقت المعين بثوب الزفاف الذي سأشتريه أنا. خمسة أشهر من الآن.

حدّقت إليه بحيرة: «هل ستفعل كل ذلك . . . لكي تتزوجني؟»

أوما برأسه والالتزام التام مرتسم على وجهه: «أود كثيراً أن يكون لنا عرس نتذكره على الدوام، ونستعيد ذكره بصفته احتفالاً رائعاً».

اغرورقت عينها بالدموع. ألا يثبت استعدادها للقيام بترتيبات العرس بنفسه أنه يجيها؟ هل هو واثق إلى هذا الحد من أنهما مناسبان لبعضهما البعض؟

قال بركة: «أريد أن أمنحك هذا، يا آنا، لكنني بحاجة إلى شيء في

المقابل» .

لقد لَبَى الكثير من حاجاتها .

وتملكها حافز قوي فوري للمطاء . أومات له بأن يتابع كلامه وقد خنقتها العبرات .

- عديني بالأ تهربي في اللحظة الأخيرة .

ابتلعت ريقها بصعوبة وأجابت بحرارة: «لن أفعل هذا بك، يا طوني» .

لن تعامله أبداً بهذا الشكل المؤلم والمذل، فتهجره وهما على وشك الزواج .

- إذن، هل عقدنا صفقة؟

سرت رجفة في كيانها وهي تتذكر كلمات ميغان: عندما يعقد أفراد أسرة كينغ التزاماً، فهو صلب كالصخرة بشرط أن تلتزمي أنت . نظرت في عينيه وسألته: «هل أنت واثق حقاً مما تطلبه يا طوني؟» .

لم يبدُ على ملامحه أي تردد: «أنا واثق» .

- إذن، إليك وعدي .

\*\*\*

## ١٥ - إيمان أعمى

جلست ايزابيلا فاليري كينغ في الفناء بجانب النافورة تنتظر قدوم انطونيو من أنسفاليل . غداً، ستتناول الأسرة الغداء هنا في القصر للاحتفال بخطبته على آنا أونيل . لكنه أراد هذا الاجتماع الانفرادي معها أولاً .

طلبه لم يدهشها إذ حصلت الأمور بسرعة قياسية ولم يتسن لها الحديث مع طوني . أخذت ايزابيلا تفكر في كل ما جرى مؤخراً . الإعلان الصاعق مساء السبت عن أن أسرة آنا أونيل جاءت إلى بورت دوغلاس . . . وأن طوني سيتزوج آنا أونيل وأنها تلبس خاتمه .

كانت ايزابيلا قد خلدت إلى النوم تلك الليلة مليئة بالبهجة، فاختيارها آنا أونيل طاهية في المركب كان موفقاً، إذ وقع انطونيو في حبها، وهي شابة مناسبة له تماماً . لقد استمتعت بمقابلة أسرة أونيل الكبيرة يوم الأحد الفائت . كلهم أذكفاء وموهوبون . لكنها شعرت بالضيق للطريقة التي بدا فيها انطونيو مهتماً بآنا أمامهم . كان يجب بنفسه عن كل الأسئلة التي تُوجه إليها عن مستقبلهما فخشيت ايزابيلا أن يكون آل أونيل قد وجدوا تصرفه غير لبق . كان انطونيو بالغ الحيوية حتى أن الناس لم يلحظوا أي شخص آخر . وكان يبهر الحضور عصر ذلك اليوم . لم يلحظ أحد، كما يبدو، أن آنا كانت تترك له زمام الأمور . . . لا

أحد سوى ايزابيلا.

أثناء المقابلة التي أجرتها لآنا بشأن الوظيفة بدت لها آنا نشيطة للغاية وجريئة. فهي لا تتوانى عن أخذ المبادرة وهي واثقة من نفسها. . . .  
قوية الشخصية. لكن كل ذلك تبخّر عصر يوم الأحد ذاك. ربما أرادت أن يتألق انطونيو أمام أسرتها، ولكن ليس بذلك القدر الذي بدا فيه، بالتأكيد.

أعلن طوني أنهما سيتزوجان في بورت دوغلاس. . . . إعلان حاسم من دون أي معلومات من آنا، حتى أنها لم تشرح لأهلها لماذا لم تشأ إقامة العرس في سيدني في منزل أهلها. والغريب أن أحداً من الأسرة لم يحتج على ذلك، مع أن أمها بدت كئيبة إلى حد محزن لعدة لحظات قبل أن تتظاهر بالبشاشة مخفية مشاعرها.

كما أن انطونيو أعلن أن العرس سيكون في كنيسة (سانت ماري) بجانب البحر، وحفل الاستقبال سيكون هنا في القصر. ثم طلب من ايزابيلا أن ترافق أفراد الأسرة إلى قاعة الرقص، بينما أخذ هو وآنا الأولاد إلى البرج. ربما كان هذا ترتيباً منطقياً، ولكن لماذا لم تشأ آنا أن تتفحص قاعة الرقص مع أمها؟ هذا ليس تصرفاً طبيعياً من عروس سعيدة.

ستان من الهرب. . . . هذا ما قاله انطونيو في الليلة التي أخذ فيها آنا إلى المطعم، ناوياً مواجهة الزوجين اللذين أثارا أعصابها. أثارها ما زالت هاربة؟ ماذا يعني هذا بالنسبة إلى موافقتها على الزواج من أنطونيو؟  
هدير الطوافة قطع عليها أفكارها المزعجة.

وقريباً، ستعلم الحقيقة.

بقدر ما أرادت أن يتزوج انطونيو، بقدر ما هو من المهم أن يكون زواجاً ملائماً.

أخذت ايزابيلا تفكر في أنها عاشت ثمانين عاماً حافلة بالأفراح

والآلام. وهي تريد أن ترى أحفادها مستقرين في زيجات سعيدة قبل أن تموت، وسيكون هذا آخر انجاز لها.

لكن الوقت يمرّ وسيكون الأمر سيئاً للغاية لو أن انطونيو أخطأ في زواجه، فغلطة كهذه تكلف الكثير.

خرج من ردهة القصر وأغلق باب المدخل خلفه وهو يهتف: «جدتي. . . ظننتك في الداخل».

بدا واضحاً أن الأمور لم تكن على ما يرام في حياته. . . . إذ أحاطت به هالة من التوتر.

- طلبت من روزينا ألا تحضر لنا شيئاً، وأرجو ألا يكون لديك مانع.

قال هذا وهو يجلس قبالتها.

- أنت تريد أن تتحدث عن آنا دون مقاطعة من أحد.

وحدقت إليه متفهمة ومدركة تماماً حساسية هذا الحديث: «أظنك تسرعت في هذا الأمر، يا أنطونيو».

أقر بقوة إدراكها بابتسامة صغيرة ساخرة: «على المرء أن يتحرك بسرعة لكي يمسك بالفراشة، يا جدتي».

فراشة؟ إشارته الخيالية هذه أقلقت ايزابيلا. مخلوقة رائعة الجمال، نعم، ولكن. . . : «من الخطأ أن تمنع شخصاً من الحراك».

قالت هذا وهي تفكر في أنها لم تتصوّر مثل هذه الصفة التي تعني الاضطراب وعدم الاستقرار في زوجة انطونيو.

- آنا تريد أن تستقل الطائرة معي، وهذا يعني أنها تحرص على ألا أهرب من قربها.

- أنت. . . مهرب؟

وهزت ايزابيلا رأسها عابسة لمثل هذه الشكوك. لم تستطع آنا أن

تعرفه جيداً. عندما يقرر أنطونيو أمراً، لا أحد يمكنه أن يشنيه عنه: «إنها بحاجة إلى أن تمضي مزيداً من الوقت معك».

فقال مدعياً بثقة: «لقد اشترت ما يكفي من الوقت. أنا ستلبس خاتمي طالما تشعر بأن ذلك صواباً. لقد عقدت معها صفقة، وأريد عونك لأنجز ذلك، يا جدي».

- عليك أن تشرح لي الأمر إذن.

أعطاهما المعلومات التي كانت تنقصها، مصوراً لها الوضع الحالي من كل جوانبه. وظيفة أنا السابقة في تنظيم المناسبات لم تدهشها في الواقع أما قصة علاقتها بفلين وجودي فكشفت كل شيء.

تلك الخيانة وإذلالها أمام أسرتها شرحا الكثير. ولكن من السهل نسبياً، حل المشكلة. أنا تعانٍ من نقص بالغ في الثقة، ليس فقط في حكمها على الناس، ولكن أيضاً في تخطيبتها لأي مشروع مستقبلي.

بناء الثقة يستغرق وقتاً، والافتناع بأن تلك الثقة لن يُساء استخدامها يحتاج هو أيضاً إلى بعض الوقت. لقد تسرع أنطونيو في التصرف متوقماً، كالعادة، أن يقود الجميع أمامه، وإذا به يكتشف أن نجاح ذلك مع أنا ليس سهلاً أبداً.

ومع ذلك، صفقة الزفاف التي عقدها معها كانت ذكية، رغم أنها قد تذلّه أمام الناس لو أرادت أن تلغي العرس.

نعمة الحب.

أترى أدركت أنا حقيقة ذلك؟

- كما ترين يا جدي أنا أريد العون منك، فأنت تعرفين كيف تخططين لحفلات الزفاف. إذا علمتني ما عليّ أن أفعل ومتى أفعل ذلك...

- هل أنت متأكد تماماً من أن هذا الزواج سيكون صالحاً لكما في

النهاية؟

أرادت بهذا السؤال أن تقيه أي أذى، فأجاب بجذ بالغ: «جدي، لم أشعر يوماً بشيء أفضل منه. أنا أعرف في أعماقي بأن أنا تحبني. وهي في أعماقها تشعر بأنني أحبها، لكنها تخشى أن تصدق ذلك».

هل ذلك صحيح؟

أم أنه إيمان أعمى؟

خمسة أشهر...

وقفت ايزابيلا، عالمة بأن عليها أن تثق بفريرة أنطونيو: «تعال، سنذهب إلى غرفة المكتبة لكي أنظر إلى مواعيد الزفاف في مفكرة أعمالي. علينا أن نقرر يوماً لذلك. كل الخطط تبدأ من هنا».

تنهد أنطونيو بارتياح عميق وهو ينهض عن كرسيه، واقترّب منها يعانقها باعتراف بالغ بالجميل.

- شكراً. أريد لأنا أحلى الأعراس يا جدي، يجب أن يكون الأفضل. - الخيار عائد لك، يا أنطونيو. سأعرض كل شيء عليك وأحرص على تنفيذ ما تريد. لكن هذا العرس يجب أن يكون هديتك لأنا، وليس هديتي أنا. هل تفهم هذا؟

- نعم.

وترجع يقابل التحدي في عينيها بالنار التي تشتعل في روحه: «سأخذ الأمور على عاتقي وأنفذ كل ما تريدينه وعندما تسير أنا في ممر الكنيسة، سترين يا جدي أني كنت محقاً. إنها بحاجة إلى أن أقوم أنا بذلك، فهو البرهان على حبي لها».

إنها مسألة ثقة، لا أكثر، وأنا تريد منه أن يحقق لها ذلك.

وابتسمت ايزابيلا.

هل أدركت أنا أن ذلك سيقربها منه أكثر فأكثر؟ لقد وافقت على

الصفقة. وهذا وحده يعني أنها تقدر قيمة هذه العلاقة بشكل بالغ. ربما لم يلتقط طوني الفراشة بعد، ولكن يبدو أنها تريد أن يلتقطها.

\*\*\*

## ١٦ - وينتظرون!

كانوا جميعاً في الكنيسة... ينتظرون. كانت العائلتان والأقارب مجتمعين... ينتظرون.

لم تكن كنيسة سانت ماري هذه تتسع لكثير من المصلين، ولكن في الخارج، كانت الحديقة العامة بأكملها تغطى بالناس... ينتظرون. نظر أليكس إلى ساعته. وبجانبه، تتم ماتيو: «لقد تأخرت». وتوترت أعصاب طوني.

تتم أليكس: «خمس دقائق فقط».

لكن أنا كانت دوماً دقيقة في المواعيد. لا بد أن الذنب ذنب شخص آخر، كما أخذ طوني يبرر الأمر. لن تتركه واقفاً هنا طوال النهار. لقد وعدته. لن تهرب في آخر لحظة، وأمس كان خاتمه لا يزال في إصبعها. لا داعي إذا للقلق!

نظر من النافذة الواسعة، إلى خارج الكنيسة. كان النهار مشرقاً ومشمساً، ومع ذلك لم يرَ أيّ مركب راسياً في ذلك الخليج الصغير. كان كل شيء قد توقف من أجل العرس. كانت الاحتفالات في أوجها في الحديقة العامة، فقد شرع البعض بتوزيع الأطعمة والأشربة وراح الخدم يحتفون بالحشود. وجاءت فرقة راقصة من كوراندا لتضفي على الجو لوناً مميزاً. أعداد هائلة من الناس زحفت إلى هنا لحضور المناسبة.

طوني كينغ سيتزوج.  
هذا إذا أتت عروسه.

هل تدرك أننا أن هذا الحدث لا يشبه ما يحصل في المدينة حيث لا يؤثر إلغاء الزفاف سوى على المعنيين به مباشرة؟ وأن هذا الحدث هو للجالية الإيطالية بأسرها. كبرياؤه على المحك وحياته أيضاً، فهو يجلبها من كل قلبه.

رَبَّتْ أليكس على كتفه وبدت على وجهه ابتسامة عريضة: «أنظرا إنها قادمة».

ارتفع الهتاف بين الحشود في الخارج، وهذا يعني أنهم رأوا عربات الخيل قادمة على رصيف الميناء.

الجددة وابن حفيدها الأكبر ماركو سيكونان في العربة الأولى قادمين من القصر على رأس الموكب. ابن اليكس ذو الرابعة سيحمل الوسادة المخملية الرمادية التي ثبت عليها المحبسان. ولا شك أنه يرقص من الفرح لأنه جزء من هذه الاحتفال الكبير.

زوجة اليكس الجميلة، جينا، وأخت أنا، تريش، ستكونان في العربة الثانية مرتديتين الثوبين الأخضرين اللذين اختارهما لهما.

وخلفهما ستكون أنا مع أبيها. كان ثوب العرس الحريري بسيطاً، لكن أكثر ملابسها معنى بالنسبة إليه، هو الإكليل الذي يمسك نقابها.

كان مرصعاً بلآلئ رائعة الجمال أحضرها من شركة جيرد كينغ نسيه.

زوجته، كريستابل، كانت قد طلبت صورة فوتوغرافية لآنا ووضعت تصميماً خاصاً للإكليل من الأفكار التي أرادها طوني أن تعبر عنها. وكان هذا هديته الخاصة لعروسه يوم عرسهما آملاً أن يعجبها أن

تلبسه لأجله... ربما لم تفهم ما يرمز إليه ولكنه سيشرح لها ذلك الليلة.

تصاعد الهتاف والتصفيق في الخارج، وبدأت فرقة موسيقى الجاز بالعزف والحشود بالإنشاد.

كل من في الكنيسة كان يغلي انتظاراً. أعطى بيتر أوين ابنته بالعماد، طفلة اليكس وجينا الجديدة، إلى روزيتا وذهب ليجلس أمام البيانو مستعداً للعزف. في هذا العرس، كان مستعداً للقيام بكل ما يطلب منه. جينا ستغني، وكان هو يرافقها دوماً بالعزف فيكونان ثنائياً فنياً رائعاً.

توقف عزف فرقة الجاز عند باب الكنيسة، وصممت الحشود، فأخذ طوني نفساً عميقاً ليشرح بالاسترخاء. سرت رجفة في جسمه، عندما ابتداء قرع الطبل لضيوف من سكان استراليا الأصليين الذين كانوا محتشدين، أخذوا يستدعون الأرواح لتبارك هذا الزواج، ما ذكر طوني بأنه ينتمي إلى هذه الأرض التي عاشت فيها أسرته طيلة أربعة أجيال. ساد الصمت فجأة.

ثم تناهى إلى مسامع الجميع وقع خطوات على درجات الكنيسة. والتفت اليكس وماتيو وتبعهما طوني. دخلت جدته الكنيسة متوجهة إلى الصف الأول. كانت تبسم له ابتسامة تبشره بأن كل شيء على ما يرام.

وخلفها رأى الطفل ماركو، وتريش وجينا يدخلون معاً. لكن أنا لم تدخل بعد. لم تستطع قوة إرادته أن تتخلص من القلق الذي يملكه. وفي اللحظة التي وصلت فيها جدته إلى مكانها، ابتداء بيتر أوين بالعزف على البيانو.

سار الطفل ماركو في ممر الكنيسة، حريصاً على ألا يدع الوسادة تسقط، ومبتسماً ببهجة لأبيه الذي كان واقفاً إلى جانب طوني. ثم جاءت

جينا بعد ذلك تليها تريش . وعندما ظهرت أنا ووالدها توقف قلب طوني  
عن الخفقان .

إنها هنا... أنا... عروسه الجميلة تبسم له... وعيناها  
الخضراوان تتألقان... ويتدلّى من اكليل اللؤلؤ على رأسها نقاب  
العروس الطويل الرقيق، مثبتاً من كل جانب بفراشة ذهبية.  
فراشتان، واحدة له والأخرى لها، مرتبطتان، وستجمعها إلى  
الأبد... لأنها هنا... تريد أن تتزوجه... أن تشاركه المستقبل. إنها  
تسير نحوه بكل ثقة.

تسارعت خفقات قلبه حباً لهذه المرأة... امرأته.

مدّ لها يده.

فأخذتها.

لقد تمت الصفقة.

ولن يتفصم الرباط بينهما.

\*\*\*

## ١٧ - المرأة تصنع المستقبل

عزيزتي اليزابيت

سرورنا كان بالغاً بحضورك عرس أنطونيو وأنا.

الآن وبعد أن قطعنا روابط الماضي بالنسبة إليهما، يجب أن نساعدهما  
على المضي قدماً نحو المستقبل. يجب أن نفي الماضي حقه، لكي نخلد ولا  
يضيع. وهذا يذكرني بنصيحتك القيمة في حفلة الزفاف.

أنت محقة، فأنا لذي ذكريات كثيرة لا يملكها أحد غيري، ثم هناك  
القصص عن كل ما أنجزه أبي منذ استقر في هذه البلاد. هذه الأشياء يجب  
أن تسجل لكي تستطيع الأجيال القادمة أن تقرأ تاريخ الأسرة وتعرف ما  
الذي أوصلها إلى حيث هي الآن...

أنظر إلى أولادك فأرى التشابه بينهم وبين أحفادي، وأظن أن سلالة  
كينغ قوية جداً. سأعلن عن طلب شخص مختص في التنقيب عن أصول  
السلالات. شخص يعرف ما هي الأسئلة التي ينبغي أن يوجهها إلى كبار  
السن من الجالية الإيطالية هنا، ويساعدني في تنظيم كل المعلومات. وعلى  
أن أجمع كل الصور الفوتوغرافية القديمة. رغم أنها تظهرهم جميعاً، مع  
الأسف، جالسين بشكل جاد متصلب وليس مثل تلك التي أخذت في  
عرس انطونيو وأنا.

إنني أجلس هنا أتأمل صورة لهما أخذت يوم الزفاف والفرح والحب

يشع منهما. إنني أتذكر تلك اللحظة جيداً. كان المصور يحاول أن يرتب صورة رسمية بجانب النافورة، لكن أنطونيو لم يقبل بذلك، وقال له: «خذ لنا هذه الصورة».

ثم أوقف أنا على قدميها قائلاً: «تعالى وطيري معي». وأمسك بها يديها بحركة دائرية كالدوامة وقدمها ترقصان في قطرات الماء بينما هما يضحكان لبعضهما البعض بكل سعادة وخلوّ بال. إنها صورة رائعة! وسأرسلها لك مع هذه الرسالة، وأنا واثقة من أنها ستجعلك تبتسمين. وثمة صورة أخرى أحبها بنفس المقدار، وهي عندما أوقف أنطونيو أنا على قدميها مرة أخرى وذراعها حول عنقه وهي تنظر في عينيه قائلة: «أحبك، يا طوني كينغ».

لا يمكنك أن تسمعي الكلمات لكن وجهيما يظهران عمق المشاعر التي تجمعهما. إنها رائعة وسأضعها لك هي أيضاً في الرسالة. أخبرتني أنا أنها تريد أربعة أطفال على الأقل، وأنا واثقة من أن أنطونيو سيره هذا. وربما السنة القادمة سيكون لديّ حفيد آخر. شكراً مرة أخرى على حضورك العرس وعلى نصيحتك الرائعة، وأنا حتماً سأتابع تسجيل تاريخ العائلة وسيكون من الممتع جداً أن نرى كيف سينتهي هذا المشروع الهام.

ربما، عندما يصبح هذا الكتاب جاهزاً للطبع، أكون قد حصلت على صور ماتيو وعروسه. وبهذا أكون قد أنهيت القصة. أنا أعلم أنك ستفهمين هذا، يا اليزابيت. النساء هن اللاتي يلدن، وينشئن الأسر. عليّ أن أجد امرأة مناسبة لماتيو. وبعد ذلك يمكنني أن أرتاح بسلام. مع احترامي وحيي الخالصين.

إيزابيلا فاليري كينغ.

\*\*\*